

حسن الصفار

العمل والفاعلية

طريق التقدم

العمل والفاعلية

طريق التقدم



﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

سورة التوبة، الآية: **105**

العمل والفاعلية

طريق التقدم

حسن موسى الصفار



أطيـــاف للنشـــر والتـوزيـــع
هـــاتف / فـاكس: ٨٥٤٩٥٤٥ (٣) ٩٦٦+
جـــــوال: ٠٥٠٥٨٦٨٧٧١ - ٩٦٦+
الـقـطـيـف - شـــارع الـقـدس
ص.ب. ٦١٢١٥ الـقـطـيـف ٣١٩١١
المـمـلـكـة الـعـربـيـة الـسـعـودية
E-mail: atyaf-pd@hotmail.com

الطبعة الأولى – 2000 م

الطبعة الثانية

1426 هـ – 2005 م

الطبعة الثالثة

1428 هـ – 2007 م

حسن موسى الصفار

ص.ب 1322/القطيف: 31911

هاتف: 8555210 (3) 966 + – فاكس 8512600 (3) 966 +

المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: office@saffar.org



أطياف للنشر والتوزيع

هاتف / فاكس: ٨٥٤٩٥٤٥ (٣) ٩٦٦+

جوال: ٠٥٠٥٨٦٨٧٧١ – ٩٦٦+

القطيف – شارع القدس

ص.ب. ٦١٢١٥ القطيف ٣١٩١١

المملكة العربية السعودية

E-mail: atyaf-pd@hotmail.com

المحتويات



هذه السطور

الإنســان هو أساس التنمية، ومحور النهوض والتغيير، فلا تحدث تنمية حقيقية إلا من خلال إنسان فاعل، ولا يتحقق تقدم إلا عبر مجتمع نــاهض، وأوطانــنا ومجتمعاتــنا لن تتجاوز تخلفها إلا إذا قرر أبناؤها استخدام قدراتهم وطاقاتهم في العمل والبناء، وهل ينقص إنساننا شيء؟

إنــه لا يقل ذكاءً وفطنة عن أبناء المجتمعات الأخرى، وليست مواهــبه واستعداداته أضعف من الآخرين، لكن ما يحتاج إليه إنساننا هو إرادة العمل، بأن يقرر بذل أقصى طاقته، وغاية جهده، من أجل بناء الوطن، وصنع المستقبل الأفضل.

وإرادة العمــل تعني نفض غبار الكسل والخمول، ورفض منطق التبرير والتواكل، وتحدي المشاكل والصعوبات، وتحمل المشقة والعناء.

الكثيرون منا يفقدون هذه الإرادة، ويتذرعون بمختلف الحجج والأعذار، ويلقون باللائمة على غيرهم من جهات وأوضاع.

والكــثيرون يشفقون على أنفسهم من بذل أقل جهد أو تحمل أبسط عناء.

وإرادة العمــل إذا مــا تفجــرت وأشرقت في نفس الإنسان، انعكست أشعتها وآثارها على مختلف جوانب حياته، فبها يتفتق ذهنه عــن الخطط والمشاريع، وينتج عقله الآراء والأفكار، وتنشط حواسه وأعضاؤه للحركة والأداء.

وبامــتلاك إرادة العمــل وتفعيلها يتطور وضع الإنسان الثقافي والاقتــصادي والاجتماعي، فانتشار الدين، وتعزيز مكانته، والتفاف الــناس حــوله، لا يحــصل إلا إذا كان هناك عمل ونشاط من قبل

المتـــصدين للقـــضايا الدينية. والمستوى الثقافي لا يتقدم لدى الفرد والمجـــتمع إلا بوجـــود حركة ثقافية والاقتصاد إنما يتطور وينمو من خلال السعي وبذل الجهد وهكذا في سائر المجالات.

لقـــد عايـــشت وخالطت فئات عديدة، وأفراداً كثيرين من أبناء المجـــتمع، ووجـــدتهم يشكون من نواقص ومشاكل مختلفة في حياتهم، ويتحدثون عن بعض التطلعات والآمال في نفوسهم، لكنهم يقفون عند حـــدود التذمر والشكوى، وبث مشاعر الأمل والرجاء، مع امتلاكهم لشتى القدرات والطاقات، وتوفرهم على أفضل الفرص والإمكانات..

ممـــا كـــان يدفعني للتأمل في هذه الحالة، والبحث عن خلفياتها وجـــذورها، وتلمـــس أفضل الطرق والأساليب للخروج من هذه القوقعة المتخلفة، إلى آفاق الفاعلية والتقدم.

فكانـــت هـــذه السطور المتواضعة التي هي في الأصل أحاديث ألقيتها في بعض المناسبات.

وإذ أقـــدمها الـــيوم ضمن هذا الكتيب، لأرجو أن تسهم في بث روح الفاعلية والنشاط، وتنمية إرادة العمل والحركة والجد والاجتهاد، ومـــع إدراكـــي للأبعاد الأخرى ذات التأثير الكبير على مسألة الفاعلية والعمل في مجتمعاتنا، إلا أني في هذه الأحاديث أتوجه بالخطاب للإنسان ذاتـــه، فهو إذا قرر العمل، وامتلك إرادته، وتحلّى بأخلاقياته، فسيكون أقدر على مواجهة المعوقات، وتجاوز الصعوبات.

عـــسى الله تعـــالى أن يمنّ علينا جميعاً بالتوفيق للخير، والمبادرة لصالح الأعمال، إنه سميع مجيب.

حسن موسى الصفار

1421/4/27هـ - 2000/7/29م



بين الأمل والعمل

هـــناك ثلاثة عوالم تحيط بشخصية الإنسان وتتفاوت من حيث التأثير على واقع حياته، وهي:

- عالم الآمال والتطلعات.
- عالم الأفكار والمعتقدات.
- عالم السلوك والأعمال.

ويهمـــنا في هـــذا البحث استقراء وتلمس مدى ارتباط كل واحـــد مـــنها بواقع الإنسان وتأثيره على صنع وضعه ومجريات حياته.

الآمال والتطلعات:

مـــن إشـــراقات نور العقل الذي اختص الله تعالى به الإنسان، القدرة على التخيل والتطلع، فالواقع الذي يعيشه الإنسان لا يشكل سقفاً لأشعة تفكيره، بل إن ذهنه يحلّق بعيداً متجاوزاً معطيات الواقع المعاش.

لذا يمتاز الإنسان بحالة الأمل والتمني، وهي وليدة ملكة الخيال، فحينما يتخيل شيئاً يتمناه، ويأمل الوصول إليه، ويتطلع لتحقيقه.

وأكثر منجزات الإنسان العلمية ومكاسبه الحضارية، كانت في بدايتها خيالات وأحلام، وآمال وتطلعات، حتى أصبح عندنا لون من ألـــوان الأدب الإبداعـــي، يطلق عليه قصص الخيال العلمي، حيث ينطلق الفكر لدى بعض الأدباء محلقاً في سماء الخيال والتمني، لينسج

أحـــداثاً وأوضـــاعاً تتخطى الواقع المعاش، وليرسم صوراً ولوحات تـــتجاوز الإمكانـــات المتاحة، ولكنها قد تتحقق فيما بعد وتصبح ظواهر حية مألوفة.

إن ارتـــياد الفضاء والسفر إلى القمر، الذي أنجزه إنسان القرن العـــشرين، كان حلماً وخيالاً داعب عقل الإنسان من القرن الثاني للميلاد، حيث كتب (لوسيان) السوري كتاباً باللغة اليونانية بعنوان "قصة حقيقية" كما كتب فيما بعد الفرنسي (سيرانودي برجراك) في القـــرن الـــسابع عـــشر متخيلاً رجالاً يطيرون في الفضاء في سفن وصـــواريخ متعددة الطوابق، وكتب الفلكي الألماني (يوهانس كيبلر) قـــصة "رحلـــة إلى القمـــر". ومن عجيب ما يذكر أن المخابرات الأمـــريكية أصـــيبت بالـــشك والحيرة حين نشر الكاتب الأمريكي (كارتميل) عام 1944م قصته "الموعد النهائي" التي تشير إلى صنع قنبلة ذريـــة. ومـــردّ هـــذا الشك وهذه الحيرة إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تجدّ في ذلك الوقت في صناعة القنبلة الذرية في جوٍ مـــن الـــسرية الـــتامة، وثبت من التحقيقات التي أجرتها المخابرات الأمـــريكية أن الكاتب لم يطّلع على هذا السر، وإنما كان ذلك من بنات أفكاره وأعمال خياله[1].

وعن المدى الواسع لتطلعات الإنسان وآماله، يقول الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام:

- (الأمل لا غاية له)[2].

---

(1) الحـــسين، الدكـــتور زيد بن عبد المحسن: مبتكرات العصر وليدة خيال، مجلة الفيصل، ص 4، عدد 222، مايو 1995م، الرياض.

(2) الريـــشهري، المحمـــدي: ميـــزان الحكمة، ج 1، ص 130، مكتب الإعلام الإسلامي/قم 1403هـ.

- (الآمال لا تنتهي)[1].
- (لا تخلو النفس من الأمل حتى تدخل في الأجل)[2].

إن أهمية الأمل والتطلع عند الإنسان تتحقق عندما يكون وقوداً للحركة، وطاقةً للسعي، وعندما يخلق حالة الاندفاع نحو العمل، وبنفس القدر يكون مؤثراً في حياة الإنسان وفاعلاً في واقعه.

أما إذا تحول الأمل والتطلع إلى تمنيات فارغة، وتخيلات ساذجة، يكتفي الإنسان بالتلذذ باجترار صورها في مخيلته، والأنس بتكرارها على مسرح ذهنه، لن يكون لذلك أي تأثير على واقعه، ولن يلامس شيئاً من أوضاع حياته.

فمجرد التمني لشيء دون السعي نحوه لا يعطيك ذرة من الحق في الوصول إليه، يقول تعالى: **﴿أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾**[3].

ذلك أن السعي وحده هو طريق الإنجاز، يقول تعالى: **﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى﴾**[4].

الأفكار والمعتقدات:

المعتقدات الدينية للإنسان تعني الإجابات التي يتوصل إليها عن التساؤلات التي ترتسم أمامه عن وجوده ومصيره ومساره في هذه الحياة.

---

(1) المصدر السابق، ص 130.
(2) المصدر السابق، ص 130.
(3) سورة النجم، الآية: 24.
(4) سورة النجم، الآية: 39 - 41.

وقد تكون تلك الإجابات – المعتقدات – نتيجة بحث وتفكير ذاتي من الإنسان، أو تكون نتيجة تقليد واتباع ومحاكاة.

بالطبع تتفاوت المعتقدات من حيث إصابتها للحقيقة والواقع أو مفارقتها لذلك، وفي درجة الإصابة أو المخالفة.

وإذا كان الوصول إلى العقيدة الصحيحة ضرورياً ومهما للإنسان، فإن ما يهمنا في هذا البحث، هو رصد مدى تأثير تلك العقيدة الصحيحة على واقع حياة الإنسان وأوضاعه.

فالإيمان بعقيدة صحيحة لا يعني إنتاج واقع صحيح دائماً وأبداً، إلا بمقدار ما تنعكس تلك العقيدة على سلوك الإنسان وعلمه، والقرآن الكريم حينما يتحدث عن الإيمان يقرنه غالباً بالعمل الصالح، للتأكيد على مصداقية الإيمان وأثره في حياة الإنسان.

يقول تعالى:

﴿... مَنْ آمَنَ باللَّه وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى...﴾[2].

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآب﴾[3].

ونجد هذا التلازم بين الإيمان والعمل مكرراً في أكثر من سبعين آية في القرآن الكريم، لكي يؤكد حقيقة هامة، هي ضرورة انعكاس الإيمان عملياً على حياة الإنسان وسلوكه، وأنه لا قيمة له إذا كان مجرد نظريات حبيسة في الذهن، أو قناعات مختزنه في النفس.

---

(1) سورة المائدة، الآية: 69.

(2) سورة الكهف، الآية: 88.

(3) سورة الرعد، الآية: 29.

ولا يـــصح أبـــداً أن يتوقع الإنسان المؤمن أن تشفع له عقيدته الـــصحيحة في تـــرتيب شـــؤون حياته، وفي أخذ موقع متقدم على الآخـــرين، دون أن يكـــون مستحقاً لذلك بكفاءته وسعيه. ففرص التقدم في الحياة متاحة للجميع، والسنن الإلهية الحاكمة لا تقبل المحاباة ولا المحسوبيات. إن القدرة على السباحة في البحر تنجي الإنسان من الغرق، مؤمناً كان أو كافراً، فإذا لم يتقن المؤمن السباحة فإنه سيغرق إنفاذاً لسنة الله، ولا يشفع له إيمانه وتدينه في النجاة، وإذا كان الكافر قـــادراً علـــى السباحة فسيصل إلى ساحل البحر بسلام رغم كفره، يقـــول تعـــالى: **﴿كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾**[(1)].

فعطاء الله تعالى في الدنيا ليس خاصاً بالمؤمنين، وإنما هو مبذول لهـــم وللكافـــرين على حدٍ سواء، وليس محظوراً على أحد، بسبب بطلان عقيدته أو مذهبه.

ويخاطب الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام من يراهنون على قوة الفكر والخطاب، مع ضعفهم في مجال العمل والحركة بقولـــه: (إنكم إلى إعراب الأعمال أحوج منكم إلى إعراب الأقوال)[(2)].

ويقـــول أيضاً عليه السلام: (الشرف عند الله سبحانه بحسن الأعمال لا بحسن الأقوال)[(3)].

وفي معركة أحد نجد مصداقاً جلياً لهذه المعادلة الحياتية، والسنَّة

---

(1) سورة الإسراء، الآية: 20.

(2) التميمـــي، عـــبد الواحد الآمدي: غرر الحكم ودرر الكلم، ج 1، ص262، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت، الطبعة الأولى.

(3) الريـــشهري، المحمـــدي: ميـــزان الحكمـــة، ج 7، ص 8، مكـــتب الإعلام الإسلامي/قم الطبعة الأولى 1404هـــ.

الإلهـــية، فمـــع أن المسلمين هم أصحاب الدين الصحيح، والعقيدة الـــصادقة، وكان فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وهـــو أشـــرف خلق الله، وأحبهم إليه، إلا أن ذلك لم يشفع لهم في الانتـــصار على العدو الكافر، ذي العقيدة الفاسدة، حينما قصروا في العمل ولم يلتزموا بخطة المعركة، حيث نـــزل الرماة من أعلى الجبل وأعطوا للعدو فرصة الالتفاف عليهم.

الأعمال والسلوك:

إن سعي الإنسان هو الذي يصنع واقعه في هذه الحياة، وإن عمله ونـــشاطه هـــو الـــذي يحدد درجة مستواه الحياتي. وإذا ما رأينا الناس تتفاوت مستوياتهم، كأفراد وكأمم ومجتمعات، فهناك من يصنف ضمن فلـــك العالم المتقدم، وهناك من يرزح تحت وطأة التخلف، فلا بد أن نبحث عن سبب هذا التفاوت في المجال السلوكي العملي.

فالنجاح والفشل والتقدم والتأخر، ليس نتيجة لتفاوت مستوى الـــتطلعات والآمال، ولا هو أثر حتمي للمعتقدات والأفكار المجردة، وإنما هو إفراز طبيعي لمستوى العمل والسعي والنشاط.

ويقـــرر القرآن الحكيم، في آيتين كريمتين، أن عمل الإنسان هو الذي يحدد درجته ومستواه في الدنيا والآخرة.

يقول تعالى: **﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عمَّا يَعْمَلُونَ﴾**[1].

ويقول تعالى: **﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾**[2].

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 132.

(2) سورة الأحقاف، الآية: 19.

إن درجة ومستوى كل إنسان، فرداً كان أو مجتمعاً، لا تتحدد مـــن وحي تخيلاته وآماله وتطلعاته، ولا من خلال أفكاره ومعتقداته وإنمـــا ﴿**وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا...**﴾ أي أن درجته تتحدد عبر سعيه وعمله.

وعلـــى الإنسان أن يثق بقيمة العمل وجدواه، فالإدارة الإلهية للكـــون حكـــيمة مهيمنة عادلة، لا تسمح بانفلات ذرة من الجهد والنـــشاط خارج المعادلات والسنن. ذلك أن ضياع شيء من الجهد والعمل، إنما يحدث إما خطأً بسبب الغفلة وعدم الانتباه، وهذا منفي حتماً عن الله تعالى: ﴿**... وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عمَّا يَعْمَلُونَ**﴾ وإما عمداً وذلك ظلم وبخس يتنـــزه الله تعالى عنه: ﴿**وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**﴾.

إن الـــبعض من الناس، بسبب الجهل، أو بدافع الكسل، يتوانى عـــن العمل والحركة، تشكيكاً منه في جدوى العمل وتأثيره، حيث يصاب بحالة من الإحباط والعزوف عن الفاعلية. لهؤلاء يتوجه القرآن الكريم مؤكداً خطأ تصوراهم، ومقرراً حتمية تأثير أي ذرة من العمل يقوم به الإنسان في هذه الحياة خيراً كان أو شراً.

يقول تعالى: ﴿**... لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ**﴾[1].

ويقـــول تعالى: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾[2].



---

(1) سورة آل عمران، الآية: 195.

(2) سورة الزلزلة، الآيتان 7 – 8.

إرادة العمل

لا تـــزال مجتمعاتنا في العالم الثالث تواجه نقصاً وتخلفاً في شتى مجالات حياتها، فالبنية التحتية، والاحتياجات الأساسية، لم تستكمل بعد في مختلف المرافق، فضلاً عن الطموح للالتحاق بركب الحضارة، والدخول في نادي المجتمعات الصناعية المتقدمة.

ويكفـــي أن نعلـــم أنه حتى في الجانب الغذائي وهو من أشد ضرورات الحياة ومقوماتها هناك عجز واضح ونقص خطير.

فالتقديرات التي أعدتها المنظمة العربية للتنمية الزراعية، تؤكد أن البلدان العربية لا زالت تتكل على استيراد الجزء الأهم من احتياجاتها الغذائية الأساسية، وطبقاً للأرقام المتوافرة فإن العجز في إنتاج الحبوب يـــصل إلى حوالي 23 مليون طن سنوياً، في الوقت الذي لا يزيد فيه مستوى الاكتفاء عن 48 في المائة، وتقدر قيمة ما تدفعه الدول العربية سنوياً لاستيراد ما تحتاجه من الحبوب من الخارج بين 6 و8 مليارات دولار، وفق تطور الأسعار في السوق العالمية.

وفي الـــسياق نفـــسه فإن إنتاج الدول العربية من السكر، وهو إحـــدى المواد الغذائية الأساسية، لا يغطي أكثر من 36 في المائة فيما يقـــدر العجز الذي تتم تغطيته بواسطة الاستيراد من الأسواق العالمية بحوالي 3.7 مليون طن، بقيمة تتراوح بين 1.3 و2 مليار دولار.

وفي مجـــال إنتاج الزيوت الصالحة للاستهلاك، تستورد الدول العـــربية 1.750 مليون طن سنوياً، فيما لا تزيد نسبة الاكتفاء الذاتي عن 43 في المائة.

وفي تقديـــرات أخــــرى فإن الفاتورة التي تدفعها الدول العربية سنوياً لتأمين الحد الأدنى من احتياجاتها الزراعية، قد تصل بالنسبة إلى المـــواد الأساسية إلى ما يقرب من 17 مليار دولار، في حين يمكن أن تـــرتفع إلى ما يقرب من 60 مليار دولار، إذا احتسبت كلفة استيراد السلع الغذائية، واللحوم والأسماك[1].

وقـــال وزير التجارة المصري أحمد جويلي خلال افتتاحه المؤتمر الـــسنوي الــــ 34 لاتحاد غرف التجارة العربية: "إن الدول العربية تدفـــع مـــا لا يقـــل عن 40 مليون دولار يومياً ثمناً للمواد الغذائية المـــستوردة من الخارج وإن المواطن العربي أصبح يعتمد على الخارج للحـــصول على 65% من احتياجاته من القمح، و74% من السكر و62% من الزيوت النباتية".

وأضـــاف: "يعني هذا أن الدول العربية أصبحت في مجموعها، أكثر مناطق العالم عجزاً في الغذاء"[2].

وحالـــة العجز هذه تواجه العالمين العربي والإسلامي في مختلف المجـــالات والجوانب، من اقتصاد وعلوم وتكنولوجيا وثقافة، حيث نستورد معظم احتياجاتنا من الخارج.

وفرة الإمكانات:

لكـــن هـــذا الـــنقص والعجـــز ليس بسبب ندرة المواد وشح الإمكانـــات، فعـــدا الثـــروات النفطية والمعدنية، والمواقع الجغرافية الاستراتيجية، يتمتع العالمين العربي والإسلامي بإمكانات وافرة هائلة، لكنها في الأغلب غير مستثمرة ولا مستفاد منها.

---

(1) الوسط: مجلة أسبوعية، لندن، العدد 277، بتاريخ 1997/5/19م.

(2) الحياة: جريدة يومية، لندن، العدد 12415، بتاريخ 1417/10/17هـــ.

وتقول تقديرات علمية إن الدول العربية لا تستثمر حالياً أكثر مـــن 10% مـــن أراضيها الزراعية، فيما لا يزيد مستوى الإفادة من الأمطـــار عـــن 15% بينما يذهب ما يقرب من 38% من مياه الري نتـــيجة تـــدني كفاءة شبكات الري والنقل وارتفاع معدل التسرب الذي تعاني منه.

وكأنمـــوذج للإمكانات الوفيرة التي لا تستثمر، نشير إلى تحقيق نَـــشَرَته مجلـــة (الاقتصاد) التي تصدرها غرفة تجارة وصناعة المنطقة الـــشرقية في المملكـــة العربية السعودية، تحت عنوان (الأسماك ثروة مهدرة). ومما جاء فيه نقتطف الفقرات التالية:

تمتاز منطقة الخليج بسواحلها المترامية الأطراف، التي تمتد لحوالي 3500 كيلومتـــر كما أن الرصيف القاري لها يحتل مساحة تقدر بـــ 250 كيلومتـــراً مربعاً. وتدل هذه الأرقام على أن ثروة سمكية هائلة توجد في هذه المسطحات المائية الشاسعة، وان إمكانية استثمار هذه الثروة الاستثمار الأمثل ليس بعيد المنال.

وتنفـــرد المملكـــة بامتلاكها لأطول شريط ساحلي في منطقة الخلـــيج العربي حيث تبلغ سواحلها 2320 كيلومتراً منها 1760 على البحر الأحمر غرباً، 560 كيلومتراً على الخليج العربي شرقاً.

وتم تـــسجيل أكثر من 180 نوعاً من الأسماك والروبيان في مياه المملكة.

وصـــل إنتاج الأسماك في المملكة عام 1993م إلى 50 ألف طن، ويغطي من 50 – 65 في المائة فقط من الاستهلاك المحلي الكلي وقد بلغ الاستيراد أكثر من 28 ألف طن عام 1994م. فهناك فجوة كبيرة تتجاوز 35 في المائة بين الإنتاج والاستهلاك.

إن دول الخليج لا تستثمر إلا نسبة 14 في المائة فقط من المخزون السمكي الممكن استثماره سنوياً، وهذا أدى بدوره إلى الاعتماد المتزايد على استيراد هذه السلعة الغذائية الهامة حيث بلغت الواردات الخليجية حوالي 104 آلاف طن عام 1992م(1).

وتشير بعض الإحصائيات الرسمية إلى أنه يبلغ عدد صيادي الأسماك في المنطقة الشرقية (المرخصين) 6848 صياداً منهم 1019 سعودي بينما يصل عدد الصيادين الأجانب 5829 أغلبهم من العمالة الهندية، بالرغم من أن صيد الأسماك من المهن التقليدية في المنطقة.

وإلى جانب توفر الثروات الطبيعية، والإمكانات الهائلة، هناك سيولة مادية، وملاءة نقدية، يمكن بها تمويل مشاريع الاستثمار والتنمية والتصنيع، فحجم الأموال العربية المستثمرة في الخارج تقرب من 850 مليار دولار، وتتجاوز الاستثمارات الخليجية وحدها 350 مليار دولار، بالأسواق المالية الدولية.

ونقرأ في بيانات أرباح المصارف والبنوك في بلادنا ما يدل على حجم تلك السيولة النقدية، فقد أظهرت النتائج المالية أن الأرباح الصافية للمصارف السعودية وعددها (11) مصرفاً، التي أصدرت بيانات مالية، ارتفعت إلى 4.1 مليار ريال (1.7 مليار دولار) في النصف الأول من عام 1999م(2).

فرص العمل:

ولوجود الإمكانات الهائلة، والسيولة النقدية، ولتقدم نسبة النمو السكاني حيث تشير الإحصاءات الرسمية إلى أنه يبلغ 4% سنوياً في

---

(1) الاقتصاد: مجلة شهرية، عدد 272، نوفمبر - ديسمبر 1995م.

(2) الحياة: جريدة يومية، لندن، 1999/7/15م.

المملكة، فإن فرص العمل متوفرة في بلادنا لسد الاحتياجات وتقديم الخدمات في مختلف المجالات، لذا تستقطب بلادنا الملايين من الخبراء والعاملين، وقد بلغ حجم التحويلات المالية التي بعث بها العمال الأجانب في السعودية إلى أوطانهم الأم أكثر من 17 مليار دولار سنة 1995م أي ما يساوي 37% من الدخل السعودي من النفط. ويزيد عدد الوافدين للعمل في السعودية على ستة ملايين عامل ينتمون إلى 190 جنسية، وقد أكد وزير الداخلية السعودي أن المملكة هي من أكثر بلاد العالم استخداماً للعمالة الوافدة من مجمل عدد السكان. ولا تزيد العمالة الوطنية في قطاع الصناعة لدى مؤسسات القطاع الخاص عن 4% وفي قطاع الخدمات 12%[1].

لقد بلغ عدد العاملين الذكور في منشآت القطاع الخاص عام 1997م حوالي 532 ألف عامل بينما بلغت العمالة الوافدة من الذكور في تلك المنشآت للعام نفسه مليوني عامل، وتشير التوقعات إلى ازدياد الطلب على العمالة الوافدة خلال الأعوام القادمة[2].

ونسوق القصة التالية كمثال على توفر فرص العمل: حيث كشفت الجهات المختصة في السعودية عن أن عاملاً هندياً دخل البلاد قبل 15 عاماً تحت كفالة طبيب سعودي، وفتح مركزاً طبياً أهلياً بعمالة طاقمها من الهند، الأطباء والممرضات والعاملين، وتوسع نشاط العامل بعد النجاح الذي حققه ليفتتح فيما بعد مستوصفاً في الرياض والقصيم والشرقية وجدة، وخميس مشيط، حتى وصل إجمالي المستوصفات التي يديرها الهندي إلى 18 مستوصفاً، يديرها العامل

---

(1) الوسط: أسبوعية سياسية، لندن، ص 38 – 39، عدد 203، بتاريخ 1995/12/18م.

(2) اليوم: جريدة يومية، الدمام، عدد 9621، بتاريخ 18 أكتوبر 1999م.

مقابـــل تـــسليم الكفيل السعودي 2500 ريال عن كل مستوصف يـــودعها في حـــسابه البنكي يومياً دون تدخل الكفيل السعودي في حـــسابات الـــربح والخـــسارة وإجارات المباني والمعدات ورواتب العـــاملين. وتصل عوائد الكفيل السعودي من المستوصفات الـــ 18 إلى 1.3 ملـــيون ريال شهرياً بينما تصل عوائد العامل الهندي وصافي أرباحه إلى 1.8 مليون ريال شهرياً[1].

فكـــيف يتمكن عامل أجنبي أن ينشئ 18 مستوصفاً ويديرها بكفـــاءة ونشاط، ويحقق منها أرباحاً هائلة، بينما يتزاحم ويتصارع الألوف من المواطنين على وظائف محدودة الدخل، ويشكو الكثيرون من البطالة وانعدام فرص العمل؟

سؤال يفرض نفسه:

أمـــام هـــذه المعادلـــة التي ترسمها الحقائق والأرقام، من وجود إمكانـــيات هائلة، وسيولة نقدية، ونمو سكاني، وفرص عمل كبيرة، فلماذا لا تزال بلادنا تفتقر إلى الاكتفاء الذاتي؟، ولماذا نستورد أغلب احتياجاتـــنا مـــن الخـــارج؟، بل ولماذا نعيش التخلف والنقص في أساسيات ومقومات الحياة؟

ومـــا يجعل السؤال أكثر إلحاحاً هو نمو ظاهرة البطالة في بلادنا بحـــيث وصـــلت إلى 35% مـــن قوة العمل حسب بعض التقارير، وأصبحت مصدر همٍّ وقلق للمسؤولين والمواطنين..

ظاهـــرة بطالـــة في بلد يستقطب أكثر من 70 ألف يد عاملة سنوياً.. ويحتضن أكثر من ستة ملايين عامل أجنبي.. ويزخر بفرص

---

(1) الاقتصادية: جريدة يومية، بتاريخ 1420/2/11هـــ، 1999/5/26م.

عمل غنية تشخص لها الأبصار من وراء البحار والمحيطات..!

إن ذلك يكشف عن خلل كبير يطال أكثر من جهة وجانب، ويستلزم الاستنفار العام، وإعلان حالة الطوارئ في مجال السياسات التعليمية، والأنظمة الاقتصادية، والتربية العائلية، والتوجيه الإعلامي، والثقافة العامة.

وفي بحثنا هذا سنقصر الحديث على عنصر مهم، وبُعد أساس، في واقع هذه المشكلة، وهو ما يتعلق بخلق إرادة العمل في نفس الإنسان - المواطن، ودفعه لاقتحام ميدان السعي والحركة بجد واجتهاد، من أجل تحقيق ذاته، وتفجير مواهبه وكفاءاته، وليشارك في بناء وطنه ورفعة مجتمعه وأمته.

مسؤولية التربية:

يأتي الإنسان إلى هذه الحياة كمادة خام، تقوم التربية والتنشئة بتصنيعه نفسياً وسلوكياً، لذلك فإن دراسة الواقع العائلي في مجتمعاتنا، وطبيعة تعاطيه التربوي مع الجيل الناشئ، وملاحظة الظروف الحياتية التي يعيشها أبناء هذا الجيل في طفولتهم، تكشف لنا عن خلفيات وجذور سلوكياتهم، وطرائق تفكيرهم وتعاملهم مع الحياة.

كانت ظروف الحياة القاسية في بلادنا قبل عقود قليلة من الزمن، تدفع العائلة إلى حياة الكدح والنشاط، ويفتح الطفل عينه ليرى أفراد عائلته نساءً ورجالاً، كباراً وصغاراً، وهم يعملون ويكدحون، لتحصيل لقمة العيش، وتسيير شؤون المنزل، ولم يكن هناك شيء من وسائل الرفاه، أو أجواء التنعم والرخاء إلا ضمن نطاق محدود.

فيتـــربى الطفـــل علـــى الكدح والعمل مع عائلته من نعومة أظفـــاره، حـــيث يـــصحب أباه ويشاركه في بعض أعماله، كما تـــساعد البـــنت أمها منذ حداثة سنها في تحمل مهامها ووظائفها المنـــزلية والعملية.

يـــستيقظ الطفـــل مبكراً كوالديه، ويتدرب على العمل تحت إشرافهم، ويواجه مثلهم إلى حدٍ ما الصعوبات والمشاق، ويتربى على تحمل المسؤولية في سن مبكر.

لكـــن تطـــورات الحياة الحديثة فرضت تغييراً في نمط المعيشة، حـــيث توفرت حالة من الرخاء على المستوى العام، و لم يعد الطفل يـــشهد شـــيئاً من العناء والكدح في حياة والديه، فالأباء يعملون في وظـــائفهم وأعمـــالهم بعيداً عن أجواء المنـــزل والعائلة، والأمهات يـــستخدمن مخـــتلف الوسائل والأجهزة السريعة المريحة في خدمات المنـــزل، بل تستعين بعضهن بالخادمات والشّغّالات.

ويعـــيش الأولاد ذكوراً وإناثاً عقدين من أعمارهم كضيوف شرف مدللين مخدومين في منازلهم غالباً، خلال فترة الدراسة، إلى أن يشقّوا طريقهم للعمل والوظيفة.

وتـــبالغ بعـــض العوائل وخاصة الموسرة في توفير أجواء الرخاء والـــرفاه لأبنائها، بتلبية كل مطالبهم الكمالية فضلاً عن الضرورية، وتوفير السيولة النقدية بأيديهم، ليصرفوا وينفقوا دون أن ينالهم شيء من عناء الكسب.

هـــذه الظروف التي يعيشها أبناء هذا الجيل في نشأهم ومقتبل أعمارهم، تترك آثارها في نفوسهم، رغبة في الراحة والدعة، وعزوفاً عن الكدح والعناء.

وينقل عن عرب مكة أنهم كانوا قبل الإسلام، يدفعون أولادهم

الصغار إلى العوائل البدوية في الصحراء، ليتدربوا على مواجهة الصعاب، بعيداً عن رخاء الحضارة ورفاهيتها.

إننا يجب أن نلحظ في تربية أبنائنا إعدادهم لما ينتظرهم من مشاق الحياة، وتهيئتهم لتحمل مسؤوليات العمل والبناء، فنهتم بالتوازن بين إراحتهم والعطف عليهم، وبين صقل شخصياتهم وشحذ هممهم وإرادتهم.

دور الثقافة:

قد يندفع الإنسان للعمل تحت ضغط الحاجة ولتوفير متطلبات الحياة، فيسعى ويكدح ضمن هذه الحدود، وقد ينطلق في حركته ونشاطه بدافع ثقافي معرفي، حينما يعي طبيعة الحياة، ويدرك دوره الطليعي الخلاّق، ويهتم بموقع أمته ووطنه، على خارطة العالم. وهنا يكون الانطلاق في أفق حضاري رحيب، تتفجر على أساسه الطاقات، وتنمو المواهب والقدرات، ويبذل الإنسان أقصى جهوده وإمكاناته، ليكون على مستوى التنافس والصراع بين الأمم والحضارات.

وتحتاج مجتمعاتنا، وخاصة الأجيال الناشئة منها، إلى الثقافة الدافعة نحو العمل، والمحركة باتجاه الإبداع والانطلاق.

ويمكن للتوجيه الديني أن يقوم بدور أساس في هذا المجال، لأن مفاهيم الإسلام وتعاليمه تستهدف بناء شخصية الإنسان العامل الكادح، الذي يتطلع إلى عمارة الأرض وتسخير الكون، وتحقيق خلافة الله تعالى في هذه الحياة.

لكن المشكلة هو ما حصل من انفصال بين التوجيه الديني وشؤون الحياة لدى بعض الأوساط الدينية، حيث غابت هموم المعيشة

وقضايا الحياة عن لغة الخطاب الديني، الذي أصبح مهتماً بالتوجيه إلى قــضايا الآخـــرة وتحــصيل الجنة وحور العين فيها، بل بالغ بعض الـــواعظين والمرشدين في تثبيط همم الناس عن الكدح والعمل، نتيجة خطئه في قراءة بعض المفاهيم الدينية كالزهد والتقوى والورع، وذم حـــب المـــال والدنيا، فعرضت هذه المفاهيم كباعث للعزوف عن المصالح الدنيوية، والإعراض عن تحقيق المكاسب المادية.

وذلك انحراف واضح عن استقامة الإسلام، وتوازن تعاليمه بين مكاسب الدنيا وثواب الآخرة،فالمؤمن الحقيقي يتطلع للتقدم والنجاح في الـــدارين، ويقول كما علمه الله تعالى: ﴿... **رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً**...﴾[1].

وكما يرشده خالقه بقولـــه تعالى: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِـــرَةَ وَلاَ تَـــنْسَ نَـــصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**...﴾[2]. وجاء في الحديث الشريف: (من لا معاش له لا معاد له).

أما التقوى والورع والزهد وسائر المفاهيم العظيمة، فهي كوابح وضـــوابط لتنظـــيم حركة الإنسان في الحياة، حتى لا يقع في المزالق والمهالك، ولا يفقد توازنه، أو يبغي ويعتدي على أبناء جنسه.

إن آيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول المصطفى صلى الله علـــيه وآلـــه وصحبه وسلم، والأئمة الهداة من أهل بيته، والأخيار الكـــرام مـــن صحابته، كلها توجيه ودفع للجد والاجتهاد، والعمل والـــسعي، والكـــدح والحركة، وعلى هدي هذه التوجيهات شقت الأمة الإسلامية طريقها نحو التقدم والرفعة، وصنعت حضارها المشرقة

---

(1) سورة البقرة، الآية: 201.

(2) سورة القصص، الآية: 77.

الزاهية، وحينما حصل التحريف والتزييف في طرح مفاهيم الإسلام وأفكـــاره، وعـــادت أحكامه وشرائعه مجرد طقوس وتقاليد لا روح فـــيها، ولا تفاعل لها مع واقع الحياة، حينئذٍ تراجعت مسيرة الأمة، وانتكـــست حضارتها، وأصبحت في ذيل القافلة، بعد أن كان بيدها معقد الزمام.

إنـــنا بحاجـــة ماسة إلى نفض غبار التخلف الذي تراكم على جوهر تراثنا، وحقائق مفاهيم ديننا، ليعود الإسلام كما كان مشروع حضارة وبناء، ومنهج حركة وإبداع.

وعلمـــاء الدين وخطباء المنبر، تقع عليهم مسؤولية بعث روح العمـــل والنـــشاط، وإذكاء همم الإنتاج والعطاء. وقد يناقش بعض علمـــاء الـــدين وخطباء المنبر، في أن مهمتهم هي الوعظ والإرشاد، وتعليم الأحكام الفقهية، وليس حث الناس على الزراعة أو الصناعة، وتشجيعهم على كسب المصالح المادية. لكن على هؤلاء الالتفات إلى شمولية التوجيه في أحاديث النبي والأئمة الطاهرين عليهم السلام الذين تناولوا كـــل جوانب الحياة، لذا نجد في كتب الحديث آلاف الروايات التي تحثّ على العمل، وتشجع على الكسب، وتوجه على مجالات الحركة كالتجارة والزراعة والصناعة وما أشبه.

ووسائل الإعلام يجب أن تأخذ دورها الإيجابي في التثقيف العام الـــذي يدفـــع أبناء الوطن إلى التطلع والطموح، وتنقل لهم تجارب الآخرين، ومدى سعيهم في مجالات العلم والتكنولوجيا والتصنيع.

ومؤســـف أن أغلب وسائل الإعلام، بدل أن تشارك في صياغة نفسية المواطن على أساس الجد والمسؤولية والالتزام، فإنها تنشر ثقافة الميوعة والهبوط الأخلاقي، وتبشّر بحياة الترف واللهاث خلف الملذات والأهـــواء، ولا تنقل لأبنائنا صور النضال العلمي، والنشاط العملي

الـــدائب في المجـــتمعات المتقدمة، بل تروّج لمشاهد الخلاعة والفساد والانحـــراف، الـــذي يحصل هناك، ويشكل جانب الضعف في تلك المجتمعات.

كمـــا أن الأجواء العامة السائدة في المجتمع، من أمثلة شعبية، وأخـــبار مـــتداولة، وأحاديـــث في المجالس والمنتديات، ينبغي أن تـــستهدف التركيـــز والتأكـــيد على تشجيع المبادرات الإيجابية، والإشـــادة بالتجارب العملية الناجحة، وأن تشحن النفوس بحب العمـــل، والـــرغبة في الكدح، وتجاوز العقبات والصعوبات التي تعترض طريق العاملين.

وما نراه في بعض الأوساط الاجتماعية من انتشار أجواء سلبية، تـــستهين بهـــذا العمـــل أو ذاك، وتـــشكك في جدوائية الأنشطة والمـــبادرات، وتضخّم النواقص والثغرات، هذه الأجواء إنما تكرِّس تخلف المجتمع، وتثبط الهمم والعزائم في نفوس أبنائه، وتضر بمستقبله ومصلحته.

إن البعض منا من أجل يبرز تعاطفه مع هذا العاطل عن العمل، أو ذاك مـــن محدودي الدخل، فإنه يلقي بالائمة على مختلف الجهات والأطراف، دون أن يشجع هذا الإنسان على تحمل المسؤولية، وعلى مـــضاعفة الـــسعي وبذل الجهد، وبذلك يسود منطق التبرير، وروح التشاؤم والتقاعس واليأس.



العمل والفاعلية
في رؤية الإسلام

إنما خلق الله تعالى الإنسان في هذه الحياة، ليكدح ويعمل، فهو مزود بطاقات وقدرات لا بد من تفعيلها بالسعي والحركة، وإلا كان وجودها عبثاً ولغواً، كما أن الفاعلية والنشاط هو الطريق إلى استثارة قدرات الإنسان وبلورة مواهبه، ومن دون ذلك تبقى كامنة معرضة للضمور والتلاشي.

وكلما زاد سعي الإنسان، واشتدت حركته، ظهرت كفاءاته، وانصقلت شخصيته، من خلال كدحه وعمله، فيجب أن يكون في حالة سعي وكدح دائم، ما دام على قيد الحياة، يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاَقِيه﴾[1].

ومطلـــوب من الإنسان إعمار الكون، استثمار خيراته ونعمه، فالأفلاك والمجرات التي تسبح في الفضاء، والخزائن الكامنة في أعماق الأرض، والثـــروات التي تملأ قاع البحر، وكل هذا الوجود الكوني العظيم مسخر لمصلحة الإنسان، ومهيأ لكي يمارس في ربوعه الإنسان دور القيادة والسيادة، كخليفة من قبل الله تعالى.

يقـــول تعـــالى: ﴿... **هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**...﴾[2].

ويقول تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ...﴾**[3].

---

(1) سورة الانشقاق، الآية: 6.

(2) سورة هود، الآية: 61.

(3) سورة الأنعام، الآية: 165.

وذلك يستلزم إعمال الفكر، وبذل الجهد، وتكثيف العمل والنشاط، لتحمل مسؤولية الخلافة، والقيام بدور الإعمار والقيادة، لذا نجد بعض الأحاديث تحث على العمل لإعمار الأرض، وبعث الحياة في الوجود، كالحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة)[1].

وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها)[2].

والعمل هو مضمار التنافس بين بني البشر، لتحديد مكانتهم في الدنيا والآخرة، فالقرب من الله تعالى، والفوز بجنته، ونيل رضاه، لا يتحقق إلا بالعمل الصالح، والتقدم في الدنيا، وإحراز المكاسب أيضاً لا يتأتى إلاّ عن طريق العمل.

فالعمل هو الذي يصنع واقع الإنسان في الدنيا والآخرة **﴿... وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾**[3]، **﴿... وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**[4].

---

(1) العسقلاني، ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ج 5، ص 5، رقم 2320 دار السلام – الرياض، دار الفيحاء – دمشق، الطبعة الأولى 1997م.

(2) الألباني، محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج 1، ص 11، رقم 9، الطبعة الرابعة 1985م، المكتب الإسلامي، دمشق – بيروت.

(3) سورة الكهف، الآية: 49.

(4) سورة الأعراف، الآية: 43.

بل إن مهمة الحياة إظهار كفاءة الإنسان وجدارته، عن طريق التنافس العملي، يقول تعالى: ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً...**﴾[1].

﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾[2].

العمل: قوة ونشاط

حينما يعمل الإنسان ويتحرك، يبدو له وكأنه صرف من جهده وطاقته، واستهلك من قوته وراحته، وفي الحقيقة فإنه في الوقت ذاته الذي أعطى فيه يكون قد أخذ أكثر مما أعطى. ذلك أن العمل والحركة مصدر قوة للنفس والجسم.

فعضلات الإنسان، وأجهزة جسمه، لا تتوفر على القوة بالخمول والاسترخاء، بل إن ذلك يصيب الجسم بالترهل، ويعرضه لمختلف الأمراض، وملحوظ في هذا العصر، كيف أن مجموعة من الأمراض المنتشرة، كالسمنة والكولسترول والسكر والروماتيزم وغيرها، مما يطلق عليه أمراض العصر، تنشأ من قلة حركة الإنسان وضعف نشاطه.

ومن الناحية النفسية: فإن العمل يملأ الفراغ النفسي، الذي يسبب الكآبة والضجر، ويرفع معنويات الإنسان، عبر شعوره بأن له دوراً وإنتاجاً، كما يجعله أكثر تفاعلاً مع الطبيعة والحياة والمحيط الاجتماعي.

---

(1) سورة الملك، الآية: 2.

(2) سورة الكهف، الآية: 7.

يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: (من يعمل يزدد قوة من يقصر في العمل يزدد فترة)[1].

وعن التأثير النفسي للعمل يقول عليه السلام: (من قصّر في العمل أبتلي بالهم)[2].

وباعتبار ما ينتجه العمل من مكاسب للإنسان فإن تراكمها يعني المزيد من القوة في واقع الإنسان. وقد كان فلاسفة العصور الوسطى يقولون: إن للعمل مهمة مزدوجة لأنه لا بد للعامل من أن يحقق شيئاً من جهة، كما انه لا بد له من أن يصنع ذاته حين يعمل من جهة أخرى.

وحين تحدث موينير (Mounier) زعيم النزعة الشخصانية في فرنسا، عن أبعاد الفعل الأربعة، فإنه كان يعني أن الفعل يعدل من الواقع الخارجي ويصنع ذواتنا، ويقربنا من الناس، ويثري عالم القيم.

العمل في حياة الأنبياء والأئمة:

الأنبياء والأئمة عليهم السلام كانوا يفهمون الدين عملاً ونشاطاً، ويمارسون التدين كمنهج للكدح والحركة في هذه الحياة، وهم القدوات الذين يجب أن يتأسى بهم الإنسان المسلم.

كانوا يعرفون قدرهم وفضلهم عند الله تعالى، وكانت نفوسهم ممتلئة بمعرفته والاعتقاد به، لكنهم لم يتكلوا على ذلك ولم يكتفوا به عن بذل الجهد وتحمل عناء العمل.

(1) الريشهري، المحمدي: ميزان الحكمة ج 7، ص 8، مكتب الإعلام الإسلامي، قم - الطبعة الأولى 1404هـ.

(2) المصدر السابق، ص 30.

فقـــد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: (كان ليقوم – أو ليصلي – حتى ترم قدماه – أو ساقاه – فيقال له، فيقول: أفلا أكون عبداً شكوراً؟ وفي رواية: لم تصنع هذا يا رسول الله وقـــد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً)[1].

وورد أنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: (كان ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو أغبر بطنه)[2].

وحينما يكون النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في بيته لم يكـــن يجلس متكئاً مستريحاً منتظراً خدمة أهله له، بل كان يشارك أهلـــه الخدمة في البيت، فقد سئلت السيدة عائشة زوجته عما كان النبي يصنع في أهله؟

قالت: كان في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة[3].

وفي روايـــة أخرى عن أم المؤمنين عائشة (يخصف نعله ويخيط ثوبه ويرقع دلوه)[4].

وقـــد روت خديجة أم المؤمنين عليها السلام: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم لما نـــزل عليه الوحي ترك كل راحة وكان يدأب ليل نهار في العبادة والعمل، فقلت له: يا رسول الله ألا تستريح ألا تنام؟ فقال: لقد مضى عهد النوم يا خديجة[5].

---

(1) العسقلاني، ابن حر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج 8، ص743، رقم 4836، دار السلام – الرياض، دار الفيحاء – دمشق، الطبعة الأولى 1997م.

(2) المصدر السابق، ج 7، ص 499، حديث رقم 4104.

(3) المصدر السابق، ج 10، ص 566، حديث رقم 6039.

(4) المصدر السابق، ج 10، ص 566، حديث رقم 6039.

(5) الـــشيرازي، السيد محمد: السبيل إلى إنهاض المسلمين، ص 147، الطبعة الثانية 1986م، مؤسسة البلاغ – بيروت.

الإمام علي حركة دائمة:

والإمـــام علي بن أبي طالب عليه السلام وهو التلميذ الأول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانـــت حـــياته وسيرته تجسيداً للفاعلية والعمل والحركة في مختلف الأبعاد والمجالات.

ففـــي الجانـــب العـــبادي، كان يجهد نفسه في القيام بالأوراد والنوافل حتى قال عنه ابن أبي الحديد المعتزلي:

(وأمـــا العبادة فكان أعبد الناس، وأكثرهم صلاة وصوماً، ومنه تعلّـــم الناس صلاة الليل، وملازمة الأوراد، وقيام النافلة، وما ظنّك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نِطع بين الصفين ليلة الهرير، فيصلي عليه ورده، والسهام تقع بين يديه، وتمر على صماخيه يميناً وشمالاً، فلا يرتاع لذلك، ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته! وما ظنّك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده!)[1].

وفي الجانـــب الحياتي؛ ورد أنه عليه السلام أعتق ألف مملوك من كد يده[2].

ويقول عنه حفيده الإمام محمد الباقر عليه السلام: (كان أمير المؤمنين علـــي عليه السلام يخرج في الهاجرة في الحاجة قد كفاها يريد أن يراه الله يتعب نفسه في طلب الحلال)[3].

---

(1) ابـــن أبي الحديـــد، عبد الحميد: شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبـــراهيم، ج 1، ص 27، الطبعة الثانية 1965م، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(2) الطوســـي، محمد بن الحسن: تهذيب الأحكام، ج 6، ص 326، الطبعة الثانية 1960، مطبعة النعمان – النجف.

(3) الحر العاملي، محمد بن الحسن: تفصيل وسائل الشيعة، ج 17، ص 23، الطبعة الأولى 1993م، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث – بيروت.

ويتحدث الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن جده علي بن أبي طالب عليه السلام قائلاً: كان أمير المؤمنين عليه السلام يضرب بالمر – أي المسحاة – ويستخرج الأرضين[1].

وكان أمير المؤمنين علي عليه السلام يحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز[2].

وكان أمير المؤمنين علي عليه السلام يخرج ومعه أحمال النوى، فيقال له: يا أبا الحسن، ما هذا معك؟ فيقول: (نخل إنشاء الله فيغرسه فما يغادر منه واحدة)[3].

لذا لم يكن الإمام علي عليه السلام يأكل شيئاً من بيت المال بل كان طعامه نتاج زرعه وعمله، يقول عليه السلام: (إني أعيش على ما يأتيني من ينبع وأستغني به عن بيت المال)[4].

وتأكيداً لذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام: (كان علي عليه السلام لا يأكل مما هنا – من العراق – حتى يؤتى به من ثم – يعني الحجاز –)[5].

وكان الإمام علي عليه السلام يقوم بشراء لوازم بيته بنفسه من السوق، ويحمل ما اشتراه بطرف ردائه، وذات مرة رآه الناس فتبادروا إليه وقالوا: يا أمير المؤمنين نحن نحمله. فقال: رب العيال أحق بحمله. وكثيراً ما كان يحمل التمر والملح بيده، ويقول: لا

---

(1) المصدر السابق، ص 37.

(2) المصدر السابق، ص 40.

(3) المصدر السابق، ص 41.

(4) الشرقاوي، عبد الرحمن: علي إمام المتقين، ج 2، ص 28، الطبعة الأولى 1985م، مؤسسة الوفاء – بيروت.

(5) المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، ج 40، ص 325، الطبعة الثانية 1983م، مؤسسة الوفاء – بيروت.

ينقص الكامل من كماله ما جرّ من نفع إلى عياله[1].

وفي الجانـــب الاجتماعي، كان الإمام علي (ع) نشطاً مبادراً لخدمـــة المجتمع ومساعدة الناس على حساب راحته الشخصية، وما كان يتوانى عن الحركة في هذا المجال، وفي أي وقت، منتصف الليل، أو منتصف النهار، عند اشتداد حرارة الشمس.

روي أن ســـعيد بـــن قيس الهمداني رآه في شدة الحر، في فناء حـــائط، فقـــال لـــه: يا أمير المؤمنين أتخرج بهذه الساعة؟ فقال ع: (ما خرجت إلا لأعين مظلوماً أو أغيث ملهوفاً)[2].

ذات يوم رجع إلى داره في وقت القيظ فإذا امرأة قائمة تقول: إن زوجي ظلمني، وأخافني، وتعدّى علي وحلف ليضربني!

فقـــال: يا أمة الله اصبري حتى يبرد النهار، ثم أذهب معك إن شاء الله.

فقالت: إذن يشتدّ غضبه عليّ!

فطأطـــأ رأسه ثم رفعه وهو يقول: لا والله، أويؤخذ للضعيف حقه غير متعتعّ![3] وانطلق معها.

ويـــروي لنا الأصبغ بن نباتة وهو من تلامذة الإمام علي (ع) فيقول:

(إن أمـــير المؤمنين في الكوفة، كان ليصل الليل بالنهار، والنهار باللـــيل تعـــباً وسهراً وعملاً، يصلي ويتعبّد بالليل، ثم يصلي صلاة

---

(1) المدرســـي، الـــسيد هادي: أخلاقيات أمير المؤمنين، ص 114، الطبعة الأولى 1991م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.

(2) المصدر السابق، ص 178.

(3) المصدر السابق، ص 185.

الصبح، ثم يجلس معقّباً، يقرأ القرآن، ويذكر الله سبحانه وتعالى، ويقرأ الأدعية، إلى أن تشرق الشمس، ثم يذهب إلى داره قليلاً، ويرجع كي يوزع وقته بين الدوران في الأسواق لأجل الأمر والنهي والموعظة، وبين المجيء إلى المسجد الجامع بالكوفة ليقضي حوائج الناس، ويقضي بينهم في مكان يسمّى بدكّة القضاء، وإذا صار الظهر صلّى، وكذلك يفعل في العصر إلى الليل، ويصلي صلاة المغرب والعشاء، وبعد مضي هزيع من الليل يأتي إلى داره.

فكنت معه ذات يوم، ولما انقضى هزيع الليل رجعت معه إلى الدار، فنمت في ساحة الدار، وذهب ا لإمام إلى غرفة من غرف الدار، ولم يكن النوم قد غلبني بعد، وإذا بي أرى الإمام ينزل من الدرج، وهو منحن من شدة الإرهاق والنعاس، وكان يستند بيده الكريمة إلى الحائط، فظننت أن الإمام يريد شيئاً. فقلت: يا أمير المؤمنين ماذا تريد؟

فقال الإمام: أريد أن أصلي لربي ركعات.

فقلت: يا أمير المؤمنين قبل قليل جئت إلى الدار؟ وما نمت إلاّ قليلاً، فكيف تقوم ألا ترحم نفسك؟ ألا تستريح؟

فقال الإمام: يا أصبغ كيف أنام؟ إن نمت النهار ضيّعت رعيّتي وإن نمت الليل ضيّعت نفسي[1].

دروس في حب العمل:

وإذا كان عادة الرجال المرموقين أن يريحوا أنفسهم من عناء

---

(1) الشيرازي، السيد محمد: السبيل إلى إنهاض المسلمين، ص 148، الطبعة الثانية 1986م، مؤسسة البلاغ - بيروت.

العمـــل في الظـــروف القاسية، فإن الواعين المؤمنين منهم لا يتركون الجد والكدح حتى مع صعوبة الظروف.

يقـــول محمد بن المنكدر: خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة فلقيني ابو جعفر (الباقر) محمد بن علي بن الحسين عليه السلام وكان رجلاً بادناً ثقيلاً، وهو متكئ على غلامين أسودين أو موليين، فقلـــت في نفسي: سبحان الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا؟ أما إني لأعظنه، فدنوت منه فسلمت عليه فرد علي بنهر وهو يتصاب عرقاً.

فقلت: أصلحك الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هـــذه الحال في طلب الدنيا!! أرأيت لو جاء أجلك وأنت على هذه الحالـــة ما كنت تصنع؟ فقال: لو جاءني الموت وأنا على هذه الحال، جـــاءني وأنـــا في طاعة من طاعات الله عز وجل، أكف بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس، وإنما كنت أخاف أن لو جاءني الموت وأنا علـــى معصية من معاصي الله عز وجل، فقلت: صدقت يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني[1].

هكذا يقدم لنا الإمام الباقر عليه السلام درساً بليغاً في أهمية العمل لكـــل إنـــسان، مهما كان موقعه وشرفه، ومهما كانت الظروف المحيطة به.

وهناك قصة شبيهة تنقل عن ولده الإمام جعفر الصادق عليه السلام عـــن عبد الأعلى مولى آل سام قال: استقبلت أبا عبد الله عليه السلام في بعـــض طرق المدينة في يوم صائف شديد الحر، فقلت: جعلت فداك

(1) الطوسي، محمد بن الحسن: تهذيب الأحكام، ج 6، ص 325، مطبعة النعمان – النجف، الطبعة الثانية 1960م.

حالك عند الله عز وجل، وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وأنت تجهد نفسك ومثل هذا اليوم؟! فقال: يا عبد الأعلى خرجت في طلب الرزق لأستغني عن مثلك[1].

والعمل عند الأولياء ليس في حدود الحاجة، بل ضمن الإمكان والقدرة، فما دمت قادراً على العمل فعليك أن تعمل، وإن لم تكن محتاجاً لنتاج العمل، أو حتى وإن كنت لا تدرك نتاجه.

فعن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال: (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها)[2].

ومعلوم أن تحوّل الفسيلة إلى نخلة مثمرة يحتاج إلى سنوات، لكن الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يشجع من يرى قيام الساعة أن لا يتردد في غرس فسيلته، رغم أنه لن يستفيد منها شيئاً.

وروى ابن جرير عن عمارة بن خزيمة بن ثابت، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي: ما يمنعك أن تغرس أرضك؟ فقال له أبي: أنا شيخ كبير أموت غداً.

فقال له عمر: أعزم عليك لتغرسنها؟ فلقد رأيت عمر بن الخطاب يغرسها بيده مع أبي[3].

وفي هذا السياق هناك رواية جميلة عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام فعن محمد بن عذافر عن أبيه قال: أعطى أبو عبد الله أبي ألفاً وسبعمائة دينار فقال له: اتَّجر لي بها، ثم قال: أما إنه ليس لي رغبة في

---

(1) المصدر السابق.

(2) الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج 1، ص 11، حديث رقم 9، الطبعة الرابعة، المكتب الإسلامي 1985م.

(3) المصدر السابق، ص 12.

ربحهـــا وإن كـــان الربح مرغوباً فيه. ولكن أحببت أن يراني الله عز وجل متعرضاً لفوائده. قال: فربحت فيها مائة دينار ثم لقيته فقلت له: قـــد ربحت لك فيها مائة دينار. قال: ففرح أبو عبد الله عليه السلام بذلك فرحاً شديداً، ثم قال: أثبتها لي في رأس مالي[1].

ويـــشير الإمام الصادق عليه السلام إلى أن العمل له تأثير في إنضاج فكر الإنسان ورأيه، وفي تنمية إمكاناته وقدراته، حيث أعرب له أحد أصـــحابه وهـــو معاذ بن كثير، وكان تاجراً للألبسة، في رغبته ترك العمـــل في السوق، لاكتفائه المادي قائلاً: قد هممت أن أدع السوق وفي يدي شيء. فقال له الإمام جعفر: إذن يسقط رأيك ولا يستعان بك على شيء[2].

وفي روايـــة أخرى، سأل الإمام جعفر الصادق عليه السلام صاحبه معاذ بن كثير: يا معاذ أضعفت عن التجارة؟ أو زهدت فيها؟ قلت: مـــا ضعفت عنها ولا زهدت فيها. قال: فما لك؟ قلت: عندي مال كـــثير وهـــو في يدي، وليس لأحد علي شيء، ولا أراني آكله حتى أموت، فقال: لا تتركها فإن تركها مذهبة للعقل[3].

وعـــن الإمـــام الـــصادق عليه السلام: (إني لأركب في الحاجة التي كفانيها الله، ما أركب فيها إلا لالتماس أن يراني الله أضحي في طلب الحلال، أما تسمع قول الله عز وجل: **﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ...﴾**[4].

---

(1) الطوسي، محمد بن الحسن: تهذيب الأحكام، ج 6، ص 326.

(2) المصدر السابق، ص 329.

(3) الحـــر العاملي، محمد بن الحسن: تفصيل وسائل الشيعة، ج 17، ص 14، رقم 21859، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث – بيروت، الطبعة الأولى 1993م.

(4) المصدر السابق، ص 28.

إن مـــن يعزف عن العمل وتحصيل الإمكانات فإنه يبرهن على افـــتقاده لـــصفة الخير في نفسه، يقول الإمام الصادق عليه السلام: لا خير فيمن لا يحب جمع المال من حلال[1].

وإذا تعذّرت على الإنسان بعض مجالات العمل فيه، فعليه أن لا يـــيأس ويـــستكين ويحكم على نفسه بالعجز، فقد جاء رجل للإمام الصادق عليه السلام فقال: إني لا أحسن أن أعمل عملاً بيدي، ولا أحسن أن أتجر وأن وأنا محارف محتاج، فقال له الإمام جعفر عليه السلام: (اعمل فاحمل على رأسك واستغن عن الناس، فإن رسول الله صلي الله عليه وآله قد حمل حجراً على عنقه أو عاتقه)[2].

وروى علي بن أبي حمزة قال: رأيت أبا الحسن – الإمام موسى الكاظم عليه السلام – يعمل في أرض له قد استنقعت قدماه في العرق.

فقلت: جعلت فداك أين الرجال؟

فقـــال: يـــا علي قد عمل باليد من هو خير مني ومن أبي في أرضه.

فقلت: ومن هو؟

فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وآبائي كلهم، كانوا قـــد عملـــوا بأيـــديهم، وهو من عمل النبيين والمرسلين والأوصياء والصالحين[3].

وعن أبي عمرو الشيباني قال: رأيت أبا عبدالله عليه السلام – الإمام جعفـــر الـــصادق عليه السلام – بيده مسحاة وعليه أزار غليظ يعمل في

---

(1) المصدر السابق، ص 33.

(2) المصدر السابق، ص 38.

(3) المصدر السابق، ص 39.

حـــائط له، والعرق يتصابّ عن ظهره، فقلت: جعلت فداك أعطني أكفـــك، فقال لي: إني أحب أن يتأذّى الرجل بحرّ الشمس في طلب المعيشة[1].

ويقـــول الإمـــام الصادق عليه السلام: (إني لأعمل في بعض ضياعي حتّى أعرق، وإن لي من يكفيني، ليعلم الله عز وجل أني أطلب الرزق الحلال)[2].



(1) المصدر السابق، ص 39.

(2) المصدر السابق، ص 39.

كيف يعمل الآخرون؟

ليس هناك سر خفي، ولا لغز غامض، ولا عامل غيبي، ولا تأثير إعجازي، يكمن في التفاوت الكبير، والبون الشاسع، والهوة الواسعة التي تفصل بيننا كعالم ثالث أو دول نامية وبين العالم المتقدم، أو الدول الصناعية.

فنحن لا نعاني من نقص في العدد، ولا قلة في الإمكانات والثروات الطبيعية، ولا نشكو من ضعف في القدرات الذهنية، ومستوى الذكاء، وامتلاك المواهب.

إذاً فلماذا تقدم الآخرون في ميادين العلم والصناعة والحضارة، وبقينا في أسر التخلف، وربقة التأخر؟

يقول الإمام علي عليه السلام في توبيخه لمن حوله على تخاذلهم، مقارناً لهم بتوثّب أعدائهم وجرأتهم.

ما بالكم؟ ما دواؤكم؟ ما طِبُّكم؟ القوم رجال أمثالكم[1].

بالطبع لا نريد هنا تسطيح المشكلة وتبسيطها، لكن فارقاً مهماً وواضحاً، يلفت نظر من يبحث ويتأمّل التفاوت القائم بين واقعنا المتخلف، وواقع التقدم لدى الآخرين، وذلك الفارق الخطير هو مستوى الفاعلية والعمل، ومدى الحركة والإنتاج.

ففي البلدان المتقدمة هناك سباق محموم في ميدان العمل والحركة، فالثقافة والتعليم، والتربية والإعلام، والأنظمة والقوانين، وطبيعة الأوضاع الاجتماعية، كل ذلك يدفع نحو العمل والإنتاج، بينما في البلدان المتخلفة، تنخفض الفاعلية عند أدنى مستوياتها،

---

(1) الموسوي، الشريف الرضي: نهج البلاغة، خطبة رقم 29.

وتتـــضافر مختلف العوامل والأسباب لإضعاف روح العمل، وتثبيط الهمم، وتحجيم الطموح، وعرقلة الحركة والنشاط.

ولنـــتأمل بعض الحقائق عن واقع العمل والفاعلية في المجتمعات الأخـــرى، ولـــنوازن ذلـــك بما نراه ونشاهده في مجتمعاتنا في العالم الثالث.

مثل من كوريا الجنوبية

أهـــم الخـــصائص التي ميزت كوريا الجنوبية، جدّية مواطنيها ومثابـــرتهم على العمل، بدرجة هي مضرب المثل اليوم، حيث يعمل الناس هناك بلا كلل.

ولهذا لم يكن غريباً تعافي الاقتصاد الكوري من أزمته الخطيرة، الـــتي ألّمـــت بالبلاد بصورة سريعة جداً، مقارنة بالدول المجاورة في جـــنوب شرق آسيا، التي أصيبت بحمى انهيار العملات، وهي الأزمة التي بدأت أولاً في تايلاند.

الـــشركات الكـــورية تُعَـــدُّ عملاقـــة بالمقاييس الدولية وتبلغ مداخيلها حداً يتجاوز معظم ما تفاخر به الدول النفطية العربية.

أما عدد الأيام التي يتمتعون بها كإجازة سنوية فهي نحو عشرين يوماً.

إنّ كـــل مـــا تـــراه في كوريا من سيارات متعددة الأصناف، والأجهـــزة الكهربائية والإلكترونية، ومعظم ما تعرضه المتاجر، هو صناعة محلية وراقية أيضاً.

وهـــذا يقودنا إلى أنّ التعلل بالحجج الشائعة عربياً لم يفلح في تعطـــيل دولـــة مثل كوريا، فهي بلا ثروات طبيعية مربحة، وحجم الوجـــود الأمريكـــي علـــى أراضـــيها لم يقلل من توجهاتها المحلية

والخارجـــية، وسقوط عملتها في الأزمة الشهيرة لم يحمل على كتف آخر بل تحمّله الكوريون جميعاً[1].

لقـــد خرجت كوريا من حرب ضروس مدمرة ومنقسمة على نفـــسها، وبـــشعب يعـــيش على زراعة الرز فقط، وليس عندها لا بتـــرول، ولا مواد خام، كانت تصدر ما قيمته 25 مليون دولار قبل 30 ســـنة ولكنها صدّرت قبل عامين ما قيمته 130 بليون دولار من المنتوجات الصناعية[2].

اليابانيون يعشقون العمل

ذكر (ميشيل ألبير) وهو مفكر فرنسي، في كتابه (الرأسمالية ضد الرأسمالية) المطبوع في مصر عام 1992م إحصائية عن اليابان تقول:

إنّ 10%مـــن الذكور البالغين الذين يموتون في اليابان كل عام يقـــتلون أنفسهم بكثرة العمل. ويحصل اليابانيون على أسبوع واحد إجازة في السنة.

واقتـــرحت الحكومة اليابانية تخفيض ساعات العمل من 44 ساعة إلى 42 ساعة أسبوعياً ولكن الأكثرية من الشعب تخالف هذا الاقتراح.

وكـــثير مـــن الكتّاب يشيرون إلى ظاهرة العمل مدى الحياة العملـــية للفـــرد في مؤسسة واحدة في اليابان، فاستمرارية العمل لـــسنين طويلة في المؤسسة، أمر ضروري لمن يريد أن يحقق لنفسه مستقبلاً وظيفياً مناسباً..

---

(1) الراشـــد، عبد الرحمن: حيث يعمل الناس بلا كلل، جريدة الشرق الأوسط، لندن، 1999/4/27م.

(2) الشيراوي، يوسف أحمد: هذه الأرقام المفزعة، جريدة الشرق الأوسط، لندن، 1999/4/28م.

وقـــد لوحظ أن خبرة خمس سنوات فقط في مؤسسة معيّنة، لا تُعَدُّ خبرة بأي حال من الأحوال، خصوصاً إذا أراد الموظف أن ينتقل للعمل في مؤسسات كبيرة وهو لا يملك خبرة طويلة، فإنه من العسير علـــيه إيجـــاد العمل في مؤسسات منافسة. فهو إما يقبل الانتقال إلى مؤسسات صغيرة، أقل مستوى وغير معروفة، أو القيام بعمل فردي خـــاص. والحقـــيقة أن المجتمع لا يشجع هذا السلوك، ويفسره بعدم مقدرة الفرد على التحاور والتأقلم مع المجموعة والمؤسسة التي تركها.

ولقد أشارت بعض المراجع أن مفهوم العمل اجتماعياً بما يتعلق بالموظفين الجدد، يعني مناسبة اجتماعية وأسرية يستحق فيها الاحتفال من قبل الشركة، ومشاركة أسر الملتحقين الجدد. ولأن التوظيف في الـــشركات يكـــون موسمياً ولأعداد كبيرة، فإنّ الأسر تُعَدُّ الفرحة معادلة إلى فرحة التخرج في الجامعة، كما هو متعارف عليه في الدول الأخرى.

ولمـــا كان العمل منذ بدايته يشكّل حدثاً يستحق الاحتفال به، فإن استمرارية العمل تبرهن على استقرار العامل وانصهاره في بوتقة المؤســـسة. هذا يعني أن العامل والمؤسسة والأسرة عبارة عن نسيج متكامل لا فرق بين هذا وذلك وتلك.

وإن الموظف لا ينطلق من منطلق أنه يعمل من أجل بناء أسرته أو رفاهـــية أبنائه كما يقول البعض، ولكن أيضاً من أجل نجاح وبناء المؤسسة التي يعمل بها، وتحقيق نموها الاقتصادي. فيصبح العمل خبرة ومـــورد رزق وهواية ووقت العمل ليس تكليفاً من المؤسسة، وإنما انسجام من الموظف مع هواية تحقق الهدف والإنجاز.

اليابان عبارة عن جزر محاطة بالمحيطات وقسوة جغرافية من كل مكان. شمالاً تنتهي بما كان يسمى بالاتحاد السوفيتي وسيبيريا، حيث

البرد والصقيع وندرة وجود الإنسان، الصين قريبة غرباً وهي بلاد كبيرة عامرة بزخم بشري وحضاري، وتتطلع إلى التوسع في كل اتجاه إن أرادت كدولة كبرى، وكذلك الأمر لروسيا أو الاتحاد السوفيتي سابقاً نستطيع القول إن اليابان كان لها جار ولكن يستبعد أن يكون جاراً صديقاً ودوداً على مرّ العصور. أما الجهات الأخرى فامتداد المحيطات، حيث تتنافس زوابع البحر وأمواجه مع جزر اليابان من كل اتجاه. إذا أضفنا إلى ذلك ما يزيد على المائة والعشرين مليون، وقلة المصادر الطبيعية، نعرف من هذا المسح السريع أن هذا الزخم الاجتماعي في صراع شديد مع البيئة، وفي حوار عنيف مع المصادر الطبيعية. الكثافة السكانية التي قررت أن تعيش وبمستوى متقدم في ذلك المكان، يجب عليها أن تعمل وتعمل من أجل تحقيق مستوى العيش الكريم[1].

أعداؤنا عبرة لنا

شراذم من اليهود اجتمعوا من أنحاء مختلفة من العالم، ليغتصبوا أرضاً ليست لهم، وطردوا منها أهلها بقسوة وبشاعة، ثم أشادوا لهم كياناً عدوانياً سمّوه إسرائيل، واستخدموا كل أساليب المكر، لجلب أشباههم من شتى البلاد، وبالكاد وصل عددهم إلى ما يقرب 5 مليون نسمة، يعيشون في محيط عربي وإسلامي كبير يناهز عمقه الإسلامي أكثر من مليار وربع المليار من البشر، كلهم ينظرون إلى شراذم اليهود المحتلين الغاصبين نظرة الرفض والكراهية والعداء، وليس في الأرض التي احتلوها – فلسطين – إمكانيات وثروات مادية متميّزة..

(1) الزاير، حسن علي: ثلاثية التطبيق الإداري في اليابان (ورقة في المؤتمر الخليجي الرابع لإدارة الموارد البشرية)، 2 – 5 نوفمبر 1986م.

لكـــن هـــؤلاء اليهود، رغم حداثة دولتهم المصطنعة، التي لا يـــزيد تاريخهـــا على نصف قرن من الزمن، ورغم أنهم خليط غير مـــتجانس، وأن الظـــروف المحيطة بهم قلقة غير مستقرة، إلاّ أنهم اســـتطاعوا أن يجعلوا من كيانهم قوة ترهب دول المنطقة، وتسعى للهيمـــنة علـــيها، وحققوا تقدماً وتطوراً علمياً وصناعياً وإنتاجياً مدهشاً.

صـــحيح أنهم مدعومون من الشرق والغرب وخاصة أمريكا، ولكن الأصح أن هذا الدعم لم يأتِ لسواد عيون اليهود، وإنما لأنهم فرضـــوا أنفـــسهم بفاعليـــتهم ونشاطهم، ومن يقرأ عن دور اللوبي الـــصهيوني في أمريكا وروسيا وأوروبا يدرك هذه الحقيقة، كما أنهم بفاعليـــتهم اســـتوعبوا هذا الدعم، وترجموه إلى بناء قوي، ووظفوه بأقصى حد ممكن في تثبيت وجودهم العدواني.

لقد سرقوا وغصبوا قطعة أرض صغيرة ولكنها مقدسة غالية وعزيـــزة، من أرض الإسلام الكبيرة الواسعة المترامية الأطراف، ثم أشـــادوا علـــيها بناءً قوياً متقدماً بالعلم والحركة والنشاط، بينما تعـــاني الكـــثير من أراضي المسلمين وبلدانهم من التأخر والضعف والتخلف.

فكيف يعمل الغاصبون الدخلاء بفاعلية ونشاط في أرض ليست لهم؟وكيف يتقاعس المسلمون في أوطانهم؟

تقـــول إحدى الإحصائيات المؤلمة: إن دخل إسرائيل القومي بلغ عام 1994م (78.1) بليون دولار، وعدد سكانها (5.4) مليون نـــسمة، بيـــنما يـــصل عـــدد ســـكان مصر وسورية والأردن والفلـــسطينيين إلى (83.3) مليون نسمة، لكن دخلهم جميعاً يقل عن دخل إسرائيل!!.

وبعـــد أن كانـــت إسرائيل ولعدة عقود تعد دولة نامية، تتلقى مـــساعدات مالية دولية، أصبحت ومنذ العام 1976م أي بعد حوالي 28 سنة من تأسيسها – تُعَدُّ دولة متقدمة غير مستحقّة لقروض البنك الدولي.

وقـــد وصل معدل الناتج الإجمالي للفرد الإسرائيلي عام 1995م إلى (16.000) دولار أمريكـــي، وهـــو رقم مقارب لبريطانيا البالغ (18.700) دولار.

وفي عام 1997م وحسب تصريحات وزير المالية الإسرائيلي، فقد وصل الناتج المحلي الإجمالي للفرد في السنة إلى (17.000) دولار، بعد فتـــرة نمو كبيرة خلال الفترة 1990 – 1996 وصل إلى 6% بسبب التوســـع في المجـــالات ذات القـــيمة المـــضافة العالية التقنية إجمالاً والإلكترونيات بشكل خاص.

وهـــناك حالـــياً أكثـــر من (100) شركة إسرائيلية مدرجة في بورصة (ناسداك) في نيويورك في أمريكا، المشهورة بشركات التقنية العالـــية، ممـــا يجعلـــها الدولة الأولى في عدد الشركات المدرجة في الولايات المتحدة الأمريكية[1].

الزعامة الأميركية

الزعامة الأميركية (Elizabeth Cremieu Le Leadership Amirican Dunod, Paris 1998, 128 Pages)، ذلك هو عنوان كتاب صدر عام 1998م ويحتوي الكتاب على عدد ضخم من الإحصائيات والحقائق التي تتحدث عن التقدم العلمي والتكنولوجي والحضاري لأمريكا، مما

(1) الشرق الأوسط، جريدة يومية، لندن، 1999/7/10م، ص 14.

يظهر سر تفوّقها وهيمنتها العالمية، وحتى لو أخذنا بعين الاعتبار، ما قد يهدفه الكتاب من الدعاية والترويج للزعامة الأمريكية، فإن ما فيه من أرقام ومعلومات، تتطابق مع ما هو واضح ومعروف لحالة التقدم والـــتفوق الأمريكي، وموضع العبرة من ذلك هو أن الأمريكيين إنما احـــتلوا هـــذه المكانـــة بالفاعلـــية والعمـــل، وهي نقطة قوة قابلة للاكتساب.

ومن الإحصائيات والمعلومات التي أوردها الكتاب ما يلي:

مـــن أصل 450 جائزة نوبل علمية منحتها الأكاديمية السويدية بين 1901م إلى 1996م حظي العلماء الأمريكيون وحدهم بـــ 187 جائزة.

والـــزراعة الأمريكية هي الزراعة الأولى في العالم. وعلى الرغم مـــن أنها لا تمثل سوى 2.5 في المائة من الناتج القومي الأمريكي ولا تشغل سوى 2.7 في المائة من اليد العاملة الأمريكية، فإنّ حصتها من النـــتاج العالمي من الصويا تصل إلى 48.9 في المائة، ومن الذرة 40.3 في المائـــة، ومن القطن إلى 19.4 في المائة، ومن القمح إلى 10.7 في المائة.

وعلـــى الرغم من أنّ السوق الداخلية تستهلك أكثر من 80 في المائـــة مـــن الإنـــتاج الزراعـــي، فإنّ المزارعين الأمريكيين هم أول المصدرين في العالم، ففي 1996 بلغت حصتهم من الصادرات العالمية من الذرة 75 في المائة، ومن الصويا 69.8 في المائة، ومن القمح 28.3 في المائة، ومن القطن 28.1 في المائة.

وعلـــى الـــرغم من أهمية الصادرات الزراعية والزراعية الغذائية الأمريكية، التي بلغ حجمها في 1995 أكثر من 50 بليون دولار، فإنها لا تـــشكّل سوى 10 في المائة فقط من إجمالي الصادرات الأمريكية.

فالصادرات الأميركية تبقى صادرات صناعية في المقام الأول أكثر من 80 في المائة.

فالشركات الأميركية تتحكم بـــ 50 في المائة من السوق العالمية للألـــياف البـــصرية، و73 في المائة من صادرات الصناعة المعلوماتية، و75 في المائـــة من مبيعات المعدات الفضائية وصناعة الطيران المدني والعسكري.

ومنذ 1990 لا تفتأ الصادرات الأميركية من التكنولوجيا العالمية تـــسجل تقدماً مطرداً، فحجم المبيعات الأميركية في هذا المجال ارتفع من 105 بلايين دولار عام 1992 إلى 138 بليوناً عام 1995، وقد بلغ رقـــم أعمـــال شركة (I.B.M) للحواسيب الإلكترونية وحدها 78.5 بليون دولار في 1996م.

فالـــولايات المـــتحدة تسيطر اليوم على 40 في المئة من السوق العالمية للاتصالات، وقد درت هذه السوق في 1996 وحده أكثر من 440 بلـــيون دولار، وتتحكم الاستوديوهات الأميركية بنحو من 80 في المائـــة مـــن الصور المبثوثة في العالم، وقد ارتفعت حصة الأفلام الأميركية في السوق الأوروبية من 56 في المائة عام 1985 إلى 76 في المائـــة عام 1994، وهذا على الرغم من تدابير الحماية التي اتخذها في هذا المجال بعض البلدان الأوروبية، وفي مقدمتها فرنسا التي لا يتردد بعض المسؤولين فيها في الحديث عن إمبريالية ثقافية أميركية.

وفي الـــوقت الذي تهيمن فيه الشركات الأميركية على 80 أو حـــتى على 90 في المائة من السوق العالمية للفيديو والصورة المتلفزة، فإنهـــا تمـــارس هيمـــنة غير قابلة للقياس الكمي على سوق الكلمة المقـــروءة، فالـــوكالة الصحافية الأولى في العالم هي الأسوشيتدبرس الأميركـــية، وهـــذه تـــزود بالأنباء والصور 1.600 صحيفة يومية

و5.900 محطـــة للراديو والتلفزيون في مختلف أنحاء العالم، وقد غدت الــصناعة الإعلامـــية واحدة من أقوى عشر صناعات في الولايات المـــتحدة، وفاق رقم أعمالها 220 بليون دولار في 1994، وهي تحقق 47 في المائـــة مـــن هذا الرقم في البلدان الأجنبية، في الوقت الذي لا تـــستورد فيه الولايات المتحدة من الخارج سوى 2 في المائة فقط من استهلاكها الإعلامي.

على أن الزعامة الثقافية الأميركية ليست محض زعامة إعلامية، فالولايات المتحدة الأميركية تستقبل في جامعاتها ومعاهدها العليا نحواً مـــن 450 ألف طالب أجنبي، وهذا العدد يتجدّد سنوياً بمعدل 100 ألـــف طالب، وفي الوقت الذي تمارس فيه تأثيرها الثقافي من خلال هذه النخب التي تبثّ عند عودتها إلى أوطانها طرائق التفكير والعمل الأميركـــية، فإنها تستفيد أيضاً من مساهمة هذه النخب لتطوير بنيتها الثقافية الداخلية، فعشرات الآلاف من الطلاب الأجانب المتخرجين ســـنوياً في الجامعـــات الأميركية يختارون البقاء الدائم في الولايات المـــتحدة، وإذا أضفنا إلى ذلك سياسة الهجرة المفتوحة تجاه الباحثين والعلميين الأجانب المتفوقين، فإنّ الولايات المتحدة يمكن أن تعد بحق المستفيد الأول من ظاهرة هجرة الأدمغة في العالم المعاصر.

وأخيراً، يكفي أن نعلم أن سكان أمريكا أقل من 5 من سكّان العالم، لكنهم ينتجون 25 من نتاج العالم كله من السلع والخدمات.

صور من الماضي القريب

ما نراه من تقاعس عن العمل، وميل إلى التراخي والكسل، عند بعض شبابنا، هل هو حالة موروثة عن الآباء والأجداد؟

وهل كانت الأجيال الماضية في بلادنا تعيش حالة الدعة والرفاه والعيش الرغيد، بحيث لم يتعودوا على مشاق العمل وعناء الكد وطلب الرزق؟

إن الحياة الحديثة في مجتمعنا بما فيها من رفاه ورخاء، إنما هي حالة مستجدة لا يزيد عمرها على نصف قرن من الزمن، وبالتالي فنحن نعاصر رجال ما قبل هذه الفترة من آباء وأجداد، وعلينا أن نستنطقهم ليحدثونا عن أوضاع الفترة السابقة، وكيف كانت ظروفها تفرض عليهم الكدح والنشاط، وتدفعهم إلى تحمل الصعوبات والمشاق، فكانوا في مستوى تحدي الأوضاع القاسية المحيطة بهم، بل وبنوا لأنفسهم ومجتمعهم مكانة مناسبة متميزة في بعض جوانبها الاقتصادية والاجتماعية. فكانوا مجتمعاً متحضراً، فيه حركة علمية وأدبية، وله إنتاج زراعي وفرّ له درجة من الاكتفاء الغذائي الذاتي، ونشاط تجاري جعله مركزاً لما حوله من مجتمعات البادية والأطراف.

وننقل عن حديث لأحد أدبائنا المخضرمين[1] بعض صور الكدح والنشاط من الماضي القريب لمجتمعنا، لتكون عبرة لأبناء هذا الجيل، ودافعاً لهم إلى ترسم طريق الآباء والأجداد، في بناء كيان مجتمعهم، وتعزيز مكانة بلادهم عبر النشاط الجاد، والعمل المكثف، وخلقية الأمانة والإخلاص والالتزام.

كان العامل في الفلاحة يبدأ عمله منذ ساعات الصباح الأولى وقت ظهور الشمس حتى آخر النهار عند الغروب و لم يكن مقيدا بساعات محدودة للعمل، سواء كان يعمل لنفسه، في أرضه أو البستان الذي كان متضمنا إياه، أو كان أجيراً، فتراه منكباً على

---

(1) السيد علي السيد باقر العوامي.

عملـــه طـــيلة النهار، لا يستريح إلا لدقائق، لتناول بعض اللقيمات، وهـــي لا تتعدى فردات من تمر أو رطب مع بعض اللبن والخبز، ثم يواصـــل انكـــبابه على عمله بالمسحاة (الصخين) إن كان يعمل في عمـــارة الأرض وقلب تربتها، أو تراه حاملاً للكر أداة الصعود على الـــنخلة يتنقل من نخلة لأخرى، إذا كان يعمل في النخل من تنبيت، وتحدير، وجذاذ، وغيره[1]..

وعلـــى العمـــوم فإن الفلاح يظل يومياً وعلى مدار العام يعمل طيلة نهاره ليوفر له ولأسرته لقمة العيش التي لا ينالها إلا ببذل الجهد الـــشاق، وعرق الجبين، وليس الرجال وحدهم هم الذين يكدحون، فالمـــرأة الفلاحة هي الأخرى تكدح طوال يومها، فهي بالإضافة إلى مـــسؤوليات البيت من تربية الأطفال والطبخ وإعداد الفراش للزوج والأولاد تقوم بإطعام البقر وحلبها، وخض الحليب لاستخراج الزبدة منها، كما تقوم بقطف الثمار من الشجر، ولَمِّ ما يتساقط من النخل من رطب وتمر، ويسمى السقاط كما تقوم البعض منهن بحمل الثمار والـــذهاب بها للسوق وبيعها، وشراء ما يحتاجه البيت من رز وإدام وغـــيره، بل وشراء الملابس لها ولزوجها وأولادها، كما تقوم المرأة بإيصال الرطب طوال فترة الصيف لبيت مالك النخل، وكذا إيصال الدهن أيام الخميس لأسابيع عديدة من العام، وإيصال الحليب وغيره طوال شهر رمضان.

لقـــد كانـــت حياة الفلاح منذ نعومة أظفاره وحتى شيخوخته كلها كد، وكدح، وعرق.

---

(1) التنبيت هو تلقيح النخل بالقمح عند أول ظهور، العذق والتحدير هو إنـــزال العذق عندما يكبر الثمر وربطه بإحدى سعفات النخل ليسهل جنيه، أما الجذاذ فهو قطع العذق من النخل عندما يصير تمراً.

وهناك فئة أخرى من العمال الذين يمكن إلحاقهم بفئة الفلاحين هم الذين يعملون على وسائط النقل من الدواب آنذاك سائقو الحمير أو من كانوا يسمون الحمَّارة فهؤلاء لا يلقون عناءً وتعباً عن إخوانهم الفلاحين، فهم أيضاً منذ الصباح الباكر وحتى الغروب يسيرون جيئة وذهابـــاً وراء حميرهـــم التي تنقل مختلف أنواع البضائع، فهم الذين يحملـــونها من على الأرض ليضعوها على ظهور حميرهم وهم الذين يقومـــون بإنـــــزالها مـــن على ظهور الحمير، ووضعها في أماكنها المخصصة لها.

وهناك أيضاً فئة عمال البناء، إنهم أيضاً غير مقيدين بساعات محـــددة، إذ إن العمل يبدأ منذ طلوع الشمس حتى غروبها، سواء كان الوقت صيفاً أو شتاءً، وهم يقومون بتكسير الحجارة ونقلها مـــن محلـــها إلى محل البناء على أكتافهم ورؤوسهم، ويركبون بها الدرج إذا كان البناء يتكون من عدة أدوار، كما أنهم ينقلون الجص والرمل وغيره.

أمـــا المصدر الثاني البحر فإن العمل فيه ينقسم إلى عدة أقسام، فهناك الغوص، وهناك صيد السمك، وهناك من يعملون في سفن نقل البـــضائع بـــين موانئ الخليج، وكل هؤلاء يعتمدون في عملهم على طاقـــاتهم البدنـــية، إذ ليس لديهم أي وسائل حديثة تساعدهم على تـــسيير الـــسفن الـــتي يعملون فيها، فالغواصون قسمان: الغيص، والـــسيب، فالغيص هو الذي ينـــزل في عمق البحر ليقطف المحار، وهم يتعرضون لأخطار الأسماك الكبيرة التي تلتهم الإنسان، كالحيتان الجراجير جمع جرجور وغيرها، والسيب، وهو الذي يجلس على ظهر السفينة ممسكاً بالحبل الذي يرتبط به الغيص، ليجره من البحر رافعاً إيـــاه للسفينة عند ما يعطيه الإشارة، ويعمل الغواصون طوال خمسة

شهور الصيف، ويبقون أحياناً طوال شهر أو أكثر في البحر، وطعامهم السمك والتمر وربما الرز.

أما الذين يعملون في صيد الأسماك فهم أيضاً يبذلون جهوداً جبارة عند ما يلقون بمصائدهم شباك الصيد (الشقة) ليقوموا بسحبها ورفعها إلى السفينة عندما تملأ بالأسماك، أو الذين يذهبون للصيد بشباكهم يحملونها على ظهورهم، ويخوضون بها البحر، وليس لديهم سفن أو قوارب، بل يحملون بالإضافة إلى شبك الصيد الجراب ليضعوا فيه الصيد، وهناك من يقومون بجمع الأسماك ونقلها من مصائد الأسماك المبنية في البحر الحضور (جمع حضرة) حيث يذهبون إليها عندما يبدأ البحر في الجزر ليجمعوا ما بداخل هذه المصائد من أسماك.

إن كل هذه الأعمال سواء كانت فلاحة أو عمل في البحر أو عمل في نشاطات أخرى كلها كانت تعتمد على جهد الإنسان وطاقته وقواه البدنية.

وحتى عندما ظهر البترول وتوفرت مجالات العمل وتحول قسم كبير من العمالة للعمل في مناطق البترول لم يكن العمل مريحاً ولا سهلاً في العقود الأولى من مجيء شركة الزيت، بل كان متعباً وشاقاً.

فعندما بدأ العمال يتوجهون لمنطقة العمل الظهران لم تكن وسائل النقل متوفرة، فبعضهم وهم القلّة كان يذهب للظهران راكباً الحمير، أما الأكثرية فيذهبون مشياً على الأقدام، مسافة تزيد على الثلاثين كيلومتر، وحتى بعد أن التحق العديد منهم بالشركة وسكنوا الحُجَر التي بنتها لهم الشركة في الحي السعودي (سعودي كمب) كانوا يعانون الأمرين في الذهاب والإياب من وإلى العمل، فقد كان

علـــى العامـــل الذي يقطن في هذا الحي أن يستيقظ مبكراً ويذهب ماشياً من الحي إلى منطقة العمل، بحيث لا تحل الساعة 7 صباحاً إلا وهـــو في محل عمله، ثم يعود للغداء لمدة ساعة ونصف، هي للطريق ذهابـــاً وإيابـــاً ولتـــناول الغذاء، وبعدها وفي الساعة 5 عصراً يعود لحجـــرته، وهكـــذا على العامل أن يمشي أربعة أشواط يومياً صاعداً ونـــازلاً ولمـــسافة غير قليلة، يعاني لهب الصيف القائظ، أو زمهرير الشتاء القارس، وحتى الحجر رغم أنها مزودة بالكهرباء إلا أنها ليست مكيفة، بل فيها مراوح سقفية، لكن هذه المراوح لا تجدي شيئاً عند حرارة الظهر، إذ كانت الحجر مبنية على شكل بلوكات – لينات – وفي الـــساحة خارجها أكوام الرمال تذروها الرياح داخل الغرف إذا مـــا ظـــل الباب أو النافذة مفتوحين، ومع كل هذا العناء فقد تحمل الأوائـــل مـــن عمال أرامكو المشقة والعناء، وقامت على سواعدهم وأكـــتافهم منشآت الشركة وأعمالها، وكانوا مثالاً للإخلاص وبذل الجهود في عملهم...



إتقان العمل

لا تقف المعادلة عند حدود أن تعمل أو لا تعمل، فمتطلبات الحـــياة ومستلزماتها تفرض عليك حداً من العمل والحركة، لكن المعادلـــة الأصعب والأعمق تكمن في التنافس على مستوى العمل ودرجة إتقانه.

فالـــسباق والتنافس الشديدين بين دول العالم اليوم ليس في مجال القدرة على الإنتاج أو كمية الإنتاج فحسب، وإنما الأهم من ذلك هو السعي للتفوق في الجودة والإتقان. وبذلك استطاعت بعض الصناعات اليابانية منافسة مثيلاتها من المنتجات الأمريكية في داخل أسواق أمريكا.

وإذا كان التنافس في الماضي يتم ضمن رقعة وحدود معينة، فإنه الآن يجـــري على مستوى العالم الذي أصبح قرية واحدة. فالمنتج لا يقـــارن الـــيوم بأمثاله على مستوى منطقة إنتاجه، بل يدخل معركة التنافس مع ما يشاكله من مختلف بلدان العالم.

مـــن هنا تبرز أهمية تأكيد القرآن الكريم على الارتقاء بالعمل إلى المستوى الأفضل والأحسن، وليس مجرد أداء العمل في أي مستوى كان.

1. فالإنسان في هذه الحياة جاء ليواجه تحدي التفوق والتقدم يقول تعالى: **﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَـــلاً﴾**[1] **﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً...﴾**[2].

---

(1) سورة الكهف، الآية: 7.

(2) سورة الملك، الآية: 2.

2. وحينما يريد الإنسان المؤمن أن يقدم أفكاره ومعتقداته للآخرين، ويعرضـــها علـــيهم، فعليه أن يجتهد في اختيار أفضل أسلوب، وأحسن طريقة للطرح والتقديم، وإلا فإن عرضه سيكون ضعيفاً غـــير مقـــنع، أو ســـيئاً منفرا. يقول تعالى: **﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾**[1].
3. وإذا تحمل الإنسان مسؤولية الإشراف على ثروة يتيم قاصر، فعليه أن يتوخـــى إدارة أمواله بأفضل نحو ممكن للحفاظ عليها وتنميتها يقول تعالى: **﴿وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾**[2].
4. وتخاطـــب الإنسان مع من حوله، وكلامه لهم، لا ينبغي أن يأتي كيفما اتفق أو من وحي الانفعالات والأحاسيس، وإنما يجب أن يخـــتار الإنـــسان أجمـــل الكلمـــات، وأنسب المعاني في تحدثه مـــع الآخـــرين، يقـــول تعالى: **﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾**[3].
5. ومجمل تعامل الإنسان وتعاطيه مع الآخرين، عليه أن يجتهد لجعله في أرقـــى مستوى، وأفضل صيغة، مهما كانت مواقفهم نحوه، يقول تعالى: **﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾**[4].
6. ولتركيز قيمة الإتقان، والارتقاء بالعمل إلى أفضل مستوى، فإن القـــرآن الكريم يؤكد على ثبوت هذه الصفة للفعل الإلهي، وما على الإنسان إلا أن يتأمل في عظمة خلق الله تعالى، ليرى أن كل شـــيء صنعه الباري جل وعلا، فهو في غاية الكمال والإتقان.

---

(1) سورة العنكبوت، الآية: 46.
(2) سورة الأنعام، الآية: 152.
(3) سورة الإسراء، الآية: 53.
(4) سورة فصلت، الآية: 34.

يقـــول تعـــالى: **﴿... صُـــنْعَ اللَّه الَّذي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْء...﴾**[1] **﴿... فَتبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالقينَ﴾**[2] **﴿الَّذي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ...﴾**[3] **﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾**[4].

وبلغة واثقة حاسمة يتحدى القرآن الكريم أبناء البشر، على مدى أجيالهم الصاعدة، وتقدم مستوياتهم العلمية والتكنولوجية، أن يجدوا ثغـــرة أو نقطـــة ضعف أو خلل في كمال وجمال آفاق هذا الكون الـــبديع، الذي تخضع كل ذرة فيه لنظام متقن رصين. يقول تعالى: **﴿الَّـــذي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَات طِبَاقًا مَا تَرَى في خَلْقِ الرَّحْمَان منْ تَفَاوُت فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُور * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾**[5].

مقاييس الجودة والإتقان:

للتـــنافس الشديد على تسويق المنتجات، وللاهتمام العالمي بمسألة الجودة والإتقان، أصبحت هناك أنظمة ومؤسسات لتحديد مواصفات الجودة، وتقرير مدى انطباقها على أي منتج من المنتجات. ويوجد الآن ما يعرف بـــ (إيزو 9000) وهو نظام للمواصفات القياسية في الجودة.

ومن الدول المتقدمة في الاهتمام بالتدقيق في المواصفات القياسية للجـــودة هي اليابان، ويذكرون أن هذا الاهتمام عندهم مر بثلاث مراحل تاريخية:

---

(1) سورة النمل، الآية: 88.

(2) سورة المؤمنون، الآية: 14.

(3) سورة السجدة، الآية: 7.

(4) سورة التين، الآية: 4.

(5) سورة الملك، الآية: 3 – 4.

المرحلة الأولى: من عام 1955 إلى عام 1965م وهي التي ركزوا فيها على الجودة النسبية، بالتقليل من نسبة الخطأ والثغرات في المنتج، فمثلاً في إنتاج السكر، يكون التفاضل بخفض أكبر نسبة للشوائب فيه، بحيث تصبح نسبة الشوائب 10% أو 5% أو ما أشبه. فالمصانع تتنافس على تقليل نسبة الخطأ.

المرحلة الثانية: من عام 1965 إلى 1975 م انتقلوا لمرحلة انعدام الخطأ، بحيث يكون المنتج سليماً 100%.

المرحلة الثالثة: ما بعد 1975 م وهي مرحلة الجودة النوعية، حيث تتنافس المنتجات على إحراز أكبر قدر من الميزات الإضافية.

إن خلوص العمل من الخلل والنقص هو الحد الأدنى لإتقانه وجودته، لكن هناك مستويات ومقاييس أخرى، تؤخذ الآن بعين الاهتمام والاعتبار، ومنها مدى سرعة الإنجاز، فقد تجد أمامك خيارات عديدة لتصنيع منتج معين، أو إنشاء بناء أو مشروع، وقد تتساوى عروضها من حيث المواصفات والتكلفة، لكنها تتفاوت في جانب توقيت الإنجاز والإكمال، فيكون لذلك دخل في ترجيح الأسرع والأقل استهلاكا للزمن.

كما أصبح التطوير، وإضافة المزيد من الامتيازات، مضماراً للتنافس على الجودة والإتقان، في مختلف مجالات العمل والإنتاج.

كيف نتعامل مع العمل؟

في بلداننا تنفق ميزانيات ضخمة، وتصرف أوقات كثيرة، وتستهلك جهود طائلة، على القيام بمشاريع، وأداء أعمال، من قبل القطاع العام والخاص، لكن الملحوظ غالباً هو ضعف الاهتمام والعناية بجودة العمل وإتقانه، لذلك تكثر الثغرات والخلل في المشاريع،

ويتأخر إنجازها، كما لا تحقق العديد من الأعمال النتائج المرجوة منها، وتفشل بعض المنتجات في ميدان منافسة البضائع المستوردة.

فقد نصرف ميزانية كبيرة على رصف شوارع وطرقات لا تلبث أن تصبح متشققة محفّرة.. وقد نبني عمارة أو بيتاً بمبلغ ضخم، لكنه بعد فترة بسيطة تظهر فيه العيوب والنواقص.. ونقرأ مثلاً في الجرائد المصرية بين فترة وأخرى عن انهيار بعض العمارات والعقارات التي لم يمض على إنشائها إلا فترة قصيرة.. وتكثر الأخطاء الطبية في العديد من مستشفياتنا ومؤسساتنا الصحية.. وهكذا نعاني في مختلف المجالات من تدني مستوى الإنتاج والعمل، وإن كنا لا نستطيع التعميم، فهناك محاولات وتجارب رائدة يفخر بها، إلا أنها محدودة في مقابل الحالة العامة السائدة في بلدان العالم الثالث.

إن أكثرنا ينجز العمل كيفما اتفق، دون أن يهتم بالجودة والإتقان.

ولعل من أبرز الأسباب والعوامل التي تكرّس هذه الحالة ما يلي:

1. ضعف الرغبة الإخلاص:

حيث يقوم البعض بعمله وكأنه مكره عليه، ومضطر إليه، فلا يتوفر لديه اندفاع ورغبة داخلية لأداء العمل، فيمارسه بتثاقل وكسل، وكما قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (الكسل يضرّ بالدين والدنيا)[1]. وقال عليه السلام: (عدو العمل الكسل)[2].

ويذم الله تعالى المنافقين على صلاتهم، لأنهم لا يؤدونها بإخلاص

---

(1) الحكيمي، محمد رضا محمد علي: الحياة، ج 1، ص 301.

(2) المصدر السابق، ص 299.

واندفاع، بل بتثاقل وكسل، يقول تعالى: ﴿... **وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى...**﴾[1].

إن الإنسان في عمله يصرف من جهده ووقته، فلماذا يستهين بما يستهلك من ذاته؟ ولماذا يقبل بإضاعة طاقته وجهده في مستوى متدن هابط؟

حقاً إن من يحترم نفسه يحترم عمله، وإن من يقدر جهده ووقته يهتم بإتقان أدائه وإنتاجه.

وفي نظر الإسلام فإن العمل والكدح لإدارة شؤون الحياة أمر مقدس، وهو في درجة العبادة، بل درجة الجهاد في سبيل الله، فقد ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (الكادّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله)[2].

وروى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم لما أقبل من غزوة تبوك استقبله سعد الأنصاري فصافحه النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ثم قال له: ما هذا الذي أكتب يديك (أي أخشنها)؟ قال: يا رسول الله أضرب بالمرّ والمسحاة فأنفقه على عيالي، فقبّل يده رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وقال: هذه يد لا تمسّها النار[3].

إن الموظف والعامل ورجل الأعمال والعالم والخطيب حينما ينطلق إلى عمله بعشق ورغبة، فسيتعامل معه بإخلاص، ويؤديه بجودة وإتقان.

---

(1) سورة النساء، الآية: 142.

(2) الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي، ج 5، ص 88.

(3) الفلسفي، محمد تقي: الشاب بين العقل والعاطفة، ج 2، ص 311 - 312.

2. ضعف الوعي الاجتماعي والوطني:

كلنا نمارس النقد، ونظهر التذمر من المستوى المتدني للإنتاج، وأداء الأعمال في مجتمعاتنا، لكننا في الواقع نتذمر من أنفسنا، وندين سلوكنا، لأننا شركاء في صنع هذه الحالة العامة، كل في موقعه، ومن خلال دوره وعمله.

سمعت مرة بعض المواطنين يشكون من تقصير أحد الموظفين في إنجاز أعمال المراجعين، واتفق بعد فترة أن رأيت ذلك الموظف نفسه يعلن الشكوى والانزعاج من موظف احتاج هو إلى مراجعته في موقع آخر، فقلت: سبحان الله ما للواحد منا يشعر بتقصير الآخرين نحوه ولا يشعر هو بتقصيره تجاه الآخرين؟ يرى الخلل حينما ينعكس على مصلحته المباشرة ويتجاهله حينما يضر بمصالح الآخرين؟

إن الإصلاح والتغيير في أوضاع مجتمعاتنا، يبدأ من كل فرد منا، لأن كل واحد يؤدي دوراً ما، فإذا أتقن دوره يكون قد أسهم في معالجة جزء من الخلل، ويصبح أنموذجاً للآخرين ومشجعاً لهم على ذلك.

3. غياب المحفزات:

فالمجتمعات التي تهتم بالجودة والإتقان، تخضع لقوانين عادلة موضوعية، تقدر الكفاءات، وتحترم الجهود والعطاء، وتقدم المحفزات وعناصر التشجيع للمتفوقين، والأكثر عطاءً وإتقانا. وذلك عامل مهم للتطوير والتقدم.

أما حينما تسود معادلة المحسوبيات، والتمييز بين الانتماءات والولاءات، ويتفشى الفساد الإداري، فسوف يكون ذلك على حساب الكفاءة والتطوير. وسيضن العامل بجهده وطاقته إذا لم يجد التقدير والمكافأة، أو رأى أن عطاءه يجيّر لصالح رؤسائه ومسؤوليه.

4. انعدام الرقابة والتقويم:

لأن التستر على الأخطاء، وغض الطرف عن الثغرات والنواقص، وسيادة أجواء المجاملة والمحاباة، كل ذلك يكرّس حالة الإهمال والاسترسال، واستمرار التدني في العمل والإنتاج.

إن لمؤسسات الرقابة والتفتيش، ووسائل الإعلام، ومناخ التنافس الحرّ، ووعي الناس الذي يدفعهم للتقويم والتمييز بين منتج وآخر، وبين طرح وآخر، إن لذلك أثراً واضحاً في تسليط الأضواء على مكامن النقص والخطأ، والدفع باتجاه المعالجة والتصحيح.

فعالم الدين والخطيب والموظف والعامل وسواهم، إذا شعر كل واحد منهم بأن دوره وإنتاجه يخضع للتقويم والمناقشة، وأنه يشكر ويقدّر إذا أحسن وأتقن، ويحاسب ويعاتب إذا أساء وقصر، فإنه سيكون أكثر اهتماماً ورعاية لمستوى عمله وإنتاجه، أما إذا لم يلحظ شيئاً من ذلك، وأن "كل شيء يمشي" حسب التعبير المتداول. فالنتيجة المتوقعة هي هذه الحالة السائدة.

5. تأثير الأجواء العامة:

حينما يعيش الإنسان ضمن محيط سليم، يخضع للنظام والقانون، وتسوده حالة الانضباط والإتقان، فإنه غالباً ما يتربى على ذلك، ويتفاعل مع هذا الاتجاه السائد، بينما إذا أحاطت به أجواء متسيبة، فسينجرف معها. ونسمع كثيراً عن أشخاص يبدؤون مسيرة عملهم بالتزام وانضباط في المؤسسات أو القطاعات التي يلتحقون بها، ثم ما يلبثون أن يفقدوا تلك الحالة الإيجابية، ويصبحون جزءاً من الوضع الفاسد المنحرف، والسبب في ذلك هو تأثرهم وتكيّفهم مع المحيط العام.

وقد عايش مجتمعنا في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية تجربة حيّة على هذا الصعيد، تتمثل في أجواء الانضباط والالتزام التي

حكمت العمل في شركة (أرامكو) منذ تأسيسها، حيث تربى العاملون فيها على التقيّد بأوقات العمل دون أقل تباطؤ أو تأخير، وبالمواظبة على العمل دون تغيّب حتى في أقسى الظروف، وبإتقان أداء المهام والوظائف بدقـــة وتـــرتيب، كان معظم العاملين أميين غير متعلمين، ولا يمتلكون الخبرات الفنية الكافية، لكن الإدارة الحازمة والمنظمة في الشركة، صنعت محيطاً وأجواء منضبطة متقنة، تربى من خلالها أولئك العاملون.

ثقافة الإتقان:

يحتاج المجتمع إلى توجيه مكثف وثقافة عامة تدفع نحو الإتقان، وأن يؤدي الإنسان أي عمل يقوم به وإن كان بسيطاً بدقة وضبط، وترتيب واهتمام.

لـــذلك وردت النصوص والأحاديث الدينية التي تؤكد على هذه الأخلاقية الهامة، روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أنه قال: (إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)[1].

وفي حـــديث آخر عنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: (إن الله تعالى يحب من العامل إذا عمل أن يحسن)[2].

وتحمل لنا حادثة مشاركة الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في دفن الصحابي الجليل سعد بن معاذ، أروع توجيه في الالتزام بالدقة والإتقان، حيث ورد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وســـلم نـــــزل حتى لحّد سعد بن معاذ وسوّى اللّبن عليه، وجعل يقول: ناولني حجراً، ناولني تراباً رطباً، يسدّ به ما بين اللّبن، فلما أن فرغ وحثا التراب عليه وسوّى قبره، قال صلى الله عليه وآله وصحبه

---

(1) الهندي، حسام الدين المتقي: كنـــز العمال، حديث رقم 9128.

(2) المصدر السابق، حديث رقم 9129.

وسلم: إني لأعلم أنه سيبلى ويصل إليه البلاء ولكن الله يحب عبداً إذا عمل عملاً أحكمه[1].

هكــذا يهــتم رســول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بتــرتيب وضــع اللحد والقبر، مع عدم رجاء فائدة من ذلك، وإن مــصيره إلى الخراب والتلف، لكن المطلوب هو تركيز هذه الحالة من الإتقان في سلوك الإنسان.

تربية الأحكام والتعاليم:

وإذا تأملنا التعاليم الدينية والأحكام الشرعية التي ترتبط بالعبادات والمعــاملات، ولاحظنا دقتها في التفاصيل، وشموليتها لمختلف الجوانب المــتعلقة بها، لوجدنا أنها تشكل مدرسة تربوية، تدرّب الإنسان المسلم على الدقة والضبط وتنمّي في نفسه رعاية الإتقان والترتيب.

فمثلاً موضوع التخلي والتخلص من فضلات الجسم، هذا الأمر على حقارته وبساطته عند الإنسان، له في الشريعة الإسلامية عشرات المسائل والأحكام بين واجب وحرام ومكروه ومستحب، لكي يؤدي الإنــسان هذا العمل البيولوجي الطبيعي على أفضل وجه ودون أي مضاعفات وأضرار عليه وعلى الآخرين والبيئة.

وفي كتاب واحد من كتب الحديث هو (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحــصيل مسائل الشريعة) للفقيه المحدّث الشيخ محمد بن الحسن الحــر العاملي (توفي 1104هــ) هناك (174) حديثاً حول موضوع التخلي لقضاء الحاجة.

وعــبادة الصلاة التي يؤديها المسلم خمس مرات يومياً تنتظمها

(1) الريشهري، محمدي: ميزان الحكمة، ج 7، ص 29.

مجمـــوعة كـــبيرة من الأحكام والضوابط، من حيث مكانها وزمانها وحـــركاتها وألفاظها، واللباس الذي يلبس خلالها، وسائر الشروط والمقدمات والأجزاء، وقد أحصى الشهيد الأول محمد بن جمال الدين مكي العاملي (734 – 786هـــ) ألف واجب في الصلاة ضمن كتاب أطلق عليه (الألفية).

فليس مقبولاً أداء الصلاة على أي وجه وكيفما اتفق، بل لا بد مـــن مراعاة الضوابط والأحكام، وإلاّ فإن الإخلال والتساهل عمداً بأي شرط أو جزء من الصلاة، ولو كان حرفاً واحداً يبطلها ويجعلها لاغية.. وهكذا الأمر في عبادة الصوم وفريضة الحج.

ونـــشير أخيراً إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم حول تذكية الحيوان وذبحه، والتعاليم والآداب التي ينبغي مراعاتها في هذا المجال، حيث يقول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فيما رواه مـــسلم في صحيحه: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتل وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته)[1].

النماذج والقدوات:

إن علـــى كل واع في المجتمع، وخاصة من يكون في موقع القيادة والمـــسؤولية، أن يجعـــل من نفسه أنموذجاً وقدوة في مجال ضبط العمل وإتقانـــه، فالـــوالدان في البيت يؤثران بسلوكهما في صنع نفوس الأبناء وأخلاقهـــم، فالأب المنظّم في حياته، والملتزم بالدقة في أعماله، عادة ما تنطـــبع أخلاقياته هذه في شخصيات أبنائه، والأم التي تدير دفة شؤون المنـــزل بترتيب وإتقان، يحاكيها أبناؤها غالباً في سلوكهم بهذا الاتجاه.

(1) القشيري، مسلم: صحيح مسلم، باب الأمر بإحسان الذبح.

والمؤســـسة التي يقودها مدير منضبط ملتزم، تسود تلك الصفة أجواءها، وتحكم أداء العاملين فيها.

إن بعض المديرين والمسؤولين في الأجهزة والمؤسسات، يعُدُّون أنفسهم فوق قانون المؤسسة وغير ملزمين به، ولكنهم يضغطون على العاملين لديهم للتقيّد بالنظام والقانون، ولا تثمر هذه الازدواجية إلا الفشل في العمل، وسوء العلاقة بين الإدارة والأفراد.

يقول الله تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ**...﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ**﴾[2].

وجمـــيل جـــداً ما أوصى به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عبدالله بن مسعود حسن قال له: (يا ابن مسعود فلا تكن ممـــن يـــشدّد على الناس ويخفف على نفسه، يقول الله تعالى: ﴿**لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ**﴾ يا ابن مسعود، لا تونَنّ ممن يهدي الناس إلى الخـــير، ويأمرهم بالخير وهو غافل عنه يقول تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِـــرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ**﴾)[3]. ويقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (كونوا دعاة الناس بأعمالكم)[4].



(1) سورة البقرة، الآية: 44.

(2) سورة الصف، الآية: 2 - 3.

(3) (المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار، ج 74 ص 109-110.

(4) الحكيمي: محمد رضا - محمد - علي/الحياة ج 1 ص 326.